
رواية
بهطيش
العقد السفلي
محمد صاوي
ساحر الكتب

بهطيش

(العقد السفلي)

الكتاب: بهطيش (العقد السفلي)

الكاتب: محمد صاوي

تصميم الغلاف: إسلام مجاهد

تدقيق لغوي: هند محمود

رقم الإيداع: ٢٠١٨/١٣٨٧٩

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٧٧٨-١٤٢-٨

الطبعة الأولى ٢٠١٨

٢٠ عمارات منتصر – الهرم – الجيزة

ت: ٠٢ ٣٥٨٦٠٣٧٢ ٠١١ -٢٧٧٧٢٠٠٧

Noon_publishing@yahoo.com

محمد صاوي

بهطيش

(العقد السفلي)

رواية



إهداء

إلى روح أبي..

للمرة الثانية يا أبي أقدمُ لك جزءاً من نجاحي، أنتَ سبب كل شيء، سبب وجودي، سبب حياتي، وسببُ تكملتي لطريقي ومواجهة المعضلاتِ دون توقف..

أعلمني يا أبي، هل أنتَ بخير؟

أردت فقط أن أطمئن عليك..

أوقنُ تمامًا بأنك في مكانٍ أفضل بكثيرٍ مما كنتَ فيه، أوقن بأنكَ تبتسم لي من السماء، تضحك وتقهقه فرحًا على ما آلت إليه أحوالنا..

كن بخير، وتأكد بأن ما تركته خلفك ملتصقٌ بعاتقي، تأكد بأن الحياةَ تسير على خير ما يرام..

واعلم بأن الحياةَ دونك..

جمرةٌ من نار تقف في حلقي..

اشتقتُ إليك كثيرًا..



إمضاء: ابنك العزيز



تنبيه..

كل ما ورد في هذه الرواية لا يمتُّ للواقع بصلة، وأي تشابه بينه وبين الواقع فهو محض صدفةٍ لا أكثر.



تمهيد

لكلِّ جبارٍ هنا

أعِدَّ قلبكَ وانتظِر

هوَ مفتاحُ مُحارِبنا

لن تنجو فلا تعتذِر

يأتيكَ بقوةِ القدَر

وبوجهٍ سخَّاطٍ كَشِر

ملِكًا أسيرَ لعنتِه

فأعِدَّ الوجهَ المنذعِر

الشاعر/ محمد إسماعيل



انتحر إن استطعت..

عام ١٩٤٣..

يمشي بخطواتٍ مرتعشة وسطَ أحجار المدافن، ممسكًا في يده اليمنى مصباحًا بدائيًّا ذا شعلة نارٍ خافتة، وفي اليسرى حقيبةً سوداء، رغم تجاوزه العقدَ الخامس من عمره بقليل إلا أن المشيب أكلَ منه مأكله وكأن السنونَ نهشت عمره نهشًا، يتلفَّت بتشتتٍ واضح المعالم على وجهه، يرتعدُ ببطء، يتخبط قلبه في قفصهِ الصدري وكأن العالم أجمع يصرخُ بأعماقه، جاءَ وقد حدد وجهته، فقد أتى ليكملَ العهد، ومن وافقَ على شروط العهد لن يجرؤ على عصيانها..

كان الوقت قد تجاوزَ الثانية عشرة بوحدتين، الممراتُ بين المدافن تقشعر لرهبتها الأبدان، وتتكسرُ لها المشاعر، فيغزوها الخوف، وتموتُ في حربٍ خاسرة، فلا يبقى من الجسد سوى قلبٍ ضعيف يتخبطُ بين الحيرة والخوف والارتياع، ليُنهش نبضه دون معين..

توقف أمام لافتةٍ كُتب عليها «مدافن عائلة الحاج جابر الأنفوشي»، نحى المصباحَ جانبًا، أخرج من الحقيبة مطرقةً ضخمة، وهندمَ من وضع قفل

المقبرة، تأهّب على قدميه ورفع المطرقة عاليًا ثم هوى على ذلك القفلِ الصدئ بكل قوته ليضحى قطعتين، قام بإزالته، ثم حركَ باب المقبرة ليُفتح عن آخره، فهاجَمت أنفه رائحةٌ عطنة كادت أن تودي بمعدته.

لم تكن رائحةَ أموات، بل رائحة أشباحٍ تحوم في المكان، شعرَ بالبرودة تحتلُّ أطرافه، ضمَّ جسده بيديه، ارتعشَ ولم يعرف إن كان السببُ هو الخوف الذي يقبضُ على قلبه كالصاعقة، أم أن الهواءَ قد صار باردًا في منتصفِ أغسطس والحرارة قد بلغَت أدناها.

تمالكَ أعصابه ثم أمسك بالمصباح وأنار الدَّرج ليستقله للأسفل حتى ابتلعتهُ المقبرة، وما إن أنهاه حتى أغلق باب المقبرة بغتةً فتلفتَ بفزع، لم يمكث لحظاتٍ حتى شعر بسخونةٍ في يده كادت أن تُحرقها، فألقى بالمصباحِ ليتناثر قطعًا صغيرة ويسودَ الظلام، هامَ حول نفسهِ وتراجع للخلف، ليصطدم بجسدٍ حارق الحرارة، صرخَ بفزع الدنيا جمعاء والتف في غمضةِ عين ليواجهَ من تسمَّر خلفهُ بعينٍ واحدةٍ حمراء، فتراجع فجأةً لتتعثر قدماهُ ويسقط أرضًا، جفَّ الماء في حلقه حتى أوشكَ على ابتلاعِ لسانه بدلًا منه، وأثناء التفافتهِ المشتتة لاحظ نورًا خافتًا على باب المقبرة،



فسبقته عيناه صوبه ليُبصر كلماتٍ تُحفر عليه بدماءٍ حمراء تشع نوراً:

«لا مجال للعودةِ الآن»

واختفت بلا إنذار، ليلتحمَ الظلام وتختنق عيناه في عمقه الأسود، زحفَ بيديه على الأرض باحثًا عن جدارٍ يستشعر منه ذرةً من أمان حتى اصطدمَ بأحدهم، فاستند عليه أثناءَ ثرثرته بكلماتٍ غير مفهومة، تذبذبَ لسانه من الرعبِ الذي أقحم نفسه في جوفه، وتحسس بيديهِ ذلك الجدار مستمداً منه بعض القوة حتى توقف على قدميه، ومشى بخطواتٍ متبعثرة وعينين مسكنهما ملمسُ يديه.

قادتهُ يداه إلى الهاويةِ دون أن يشعر، فسلكَ الطريق المرسومَ أمامه حتى أحس بغرفةٍ جانبية تبتلعه بداخلها، دلفَ إليها بلا ترددٍ وتوقّف في منتصفها، فكر بما سيفعلهُ ولم يجد إجابة، فقالَ بلسانٍ مرتعش وعينين جاحظتين تبحثان عن المجهول:

– أنا مُستعد!

ليسمعَ أصوات أنفاسٍ غليظة تحومُ حوله في الغرفة، ازدادت رعشاتهُ ولكنه صمَد، لحظاتٌ



واشتعلت الأرضية بدماءٍ حمراء لتخطّ بضع كلمات مرشدةً إياه إلى خطوته التالية:

«في ركنِ الغرفة سكين وبجانبها جمجمةٌ بشرية»

فالتفتَ بعينيه نحوهما ليُبصرهما تشعانِ نوراً، وتبِعه صوتٌ كفحيح الثعبان يترددُ في أذنه قائلًا:

– قم بقطعِ إصبعك الأوسط من يدكَ اليمنى، ثم اقترب من تلك الجمجمة وأغرِقها بالدماء.

انتفضَ جسده بقوة وتلفّت محاولًا إدراكَ ما يقفُ خلفه، ليسمعَ مواء قطةٍ وصوت خطواتٍ تتخبط في الغرفة ثم تصمت..

توقفَ شعر رأسه من الخوف، ولكنه تشجّع وتحامل على ما بقيَ من قوته ومشى صوبَ السكين، التفت أصابعهُ حولها، اقترب من الإصبعِ الأوسط، أغمضَ عينيه، وبكل شجاعة شرعَ بتحريك السكين ليُفاجأ بتحليق إصبعه بعيداً فور لمسِها إياه، صرخ من فرط الألم، وتحرك سريعًا وعصرَ جرحه فوق جمجمةٍ حمراء لونها، ولا يعلم لمَ! فقد تشرّبت الدماء بنهمٍ مريب ثم احترقت وتبخرت، ليعودَ سريعًا للخلف فيسمع صوتًا آخر كفحيحِ الثعبان قائلًا:



اجرح أذنكَ اليسرى.

تلفتَ بفزع، حثَّته نفسه على العودة ولكنه أراد أن يُنهي عذابه، فقام سريعًا بشق أذنه إلى شقَّين ودوى صراخهُ حاداً محطماً كل ما حوله..

سادَ الصمت عدة دقائق يعتصرهُ فيها الألم من الداخلِ والخارج، وعندما طال صرخَ قائلًا:

الرحمة! أرجوكَ أعلمني ما الخطوة التالية؟

ما زال الصمت سيدَ الموقف، وبعد دقائقَ أخرى اقتحم الصوتُ أذنيه مجدداً:

اقطع شريان يدكَ اليمنى، ثم مدد جسدك في المنتصف وانتظر العلامة.

إنها النهاية..

علامةُ الانتحار!

نهايةٌ لكل ما تسببَ فيه من ظلمٍ بسبب ذلك الكائن البغيض، بسببِ ذلك العقد الذي وافقَ على شروطه.

لا مجال للعودة..

لا مجال للهرب..

الموتُ هو الحل..

حياته ليست ذات قيمةٍ كما ظنَّها، إنما قيمتها الفعلية في الموت!

اقتربَ بالسكين من شريانِ يده، ولكنه ترددَ وارتعش..

وأثناء محاولته البائسة، ظهرَ ذلك الكائن ذو اللونِ الأحمر المبهم الملامح، خلفَ رأسه مبتسمًا بوجهٍ عابث منتظرًا لحظة النهاية، وما إن اشتمَّ التردد بداخله حتى نفثَ كلماتٍ اهتزت لأجلها دواخله:

قراركَ بين يديك أيها الإنسي، إما أن تنتحرَ بقطع شريانك الآن، أو أن تموتَ روحك من هولٍ كُتب على جبينك فورَ اقتحامك لهذه المقبرة..

رغم شعوره برعبٍ لم يشعُر به من قبل، وذلك لاختلاف الصوت هذه المرة لنبرةٍ قويةٍ وغاضبة تُفتت القلب ألمًا وهلعًا، إلا أنه نظرَ للأعلى وفكر لحظةً في نهايةٍ سوداوية مصيرُها إلى جهنم، أغمضَ عينيه وظل بضع ثوانٍ ثم ألقى بالسكين جانبًا..

فحلقَ جسده في الفراغ دون إرادةٍ منه، وأُلقي أرضًا في لحظةٍ خاطفة ليشهقَ بفزع، حاولَ فتح عينيه مزامنةً مع تحريكِ جسده ولكن باءت شتى محاولاته بالفشل، فتحركَ بعنفوانٍ مخيف ليكتشف أنه ملتفٌّ في قطعة قماش، جاهدَ مجدداً حتى استطاع فتحَ عينيه ليُصدم بمصيبةٍ أكبر..

إنه..

إنه بداخلِ كفنٍ والقطن في فمه يمنعُ صرخاتِه، حاول الاستنجادَ دون جدوى، تمزقَ قلبه رعبًا، بل استنفدَت نبضاته محاولاتها للبقاءِ على قيد الحياة، ظل يجاهدُ بكل قوته، حتى سمعَ صوتًا يهمسُ في أذنه قائلًا:

لقد خالفتَ الأوامر، وعقابكَ الدفن حيّا، وانتظارُ الموت كي يشفقَ عليك ويُخلصك من عذابك.

ليصرخَ صرخةً استيقظت لأجلها شياطينُ الكون أجمع، وفزعَ على إثرها كل كائنٍ على وجه الأرض.

* * *

(١)

إن أردت شيئًا، اصنع المعجزات حتى تحصل عليه، ولكن تأكد جيداً بأنك ستخسر الكثيرَ منك في المقابل..

عام ٢٠١٨..

شقةٌ صغيرة في بنايةٍ متوسطة الارتفاع، مكونة من صالة بها مكتبٌ وضعت عليه بعض الكتبِ المدرسية، وأريكة صغيرة الحجم تصلُح لجلوس فردين، أمامها طاولة قصيرة لحملِ الطعام، وفي الوجهةِ تلفاز قديم الطراز، وبجانب التلفاز تتفرعُ غرفة تحوي فراشًا كبير الحجم، وخزينة ملابس صغيرة، وأمام الغرفةِ ممر ضيق يحمل في نهايته غرفةً أخرى مغلقةً معظم الوقت، فقد كانت تلك غرفةُ والديه، ويمين الممر حمامٌ صغير ويساره مطبخ متوسط..

يجلسُ (إبراهيم) بجانبِ أخيه على الأريكة أثناء تناول الأخيرِ لطعامه بنهَم بعد يوم دراسةٍ شاق، كان شارداً في اللاشيء، معلقًا نظره بأحد الأركان، وقد سقطت دمعةٌ من عينه حزنًا على إنسانيةٍ لم تعُد..



(إبراهيم) ذو الثمانية والعشرين عامًا، يعمل حارسًا في بنك كي يسدَّ فم أخيه (علي) بالطعام والشراب، وذلك بعد مصرعِ والديهما في حادثِ سيارة منذ أكثرَ من سبع سنوات، فحملَ على عاتقه مسئوليةً ليست بالهينة، ولكن الحياة عصفَت ريحها بجوارحه حتى كادت أن تمزقَه، التحمت معه في مبارزةٍ ضارية لا تنتهي، صفعاتٌ من هنا وصفعات من هناك تحطمَ لأجلها فؤاده..

حياتهُ مبهمة، لا فتاةَ فيها، يستهزئُ منه الجميع، منبوذٌ من عائلة لا تعلم عن صلةِ الرحم سوى الاسم، الحياةُ والأمان قد انتهيا بعد رحيلهما، رحيلِ قلبه على جزءين في غمضةِ عين، فالأمانُ كان الأب والأم، والآن لا شيء سوى الخوفِ والمهانةِ والذل، رحلا وتركا الحياةَ بلا معنى، بلا طعم، فاستحالت إلى غابةٍ تلتهمُ مشاعر الحب بداخله، ليضحى دون قلب، دون شعور، دون شيء يضعه ضمنَ قوائم البشر..

ولكن ماذا كان عليهِ أن يفعل؟ أيظلُّ هكذا دون حيلة؟ أم يمتزج مع الظروف ليتخبطَ بها وتتخبطُ به حتى يخرجا بنتيجة!

نتيجةٌ تمزقه على كل حال..

– إبراهيم.. إبراهيم!



أفاقَ من شروده على صوتِ أخيه الصغير، مسح دمعةً آلمت مقلته، ثم ربّت على كتفه قائلًا:

– اعذرني يا علي، لقد نهشني التعبُ من أثر الجهد الذي بذلتُه اليوم في العمل، أكمِل طعامك.

وترجّل من الأريكة ليسيرَ في الصالةِ متفقدًا إياها، متذكرًا لكل أيامٍ حياته التي ركضَت أمام عينيه وسطَ أربعة جدران، صرخاتٌ وآهات، بكاءٌ ودعاء، بين ذلكَ الركن وذاك، ما من معينٍ سوى اللّه، ولكن الاختبارَ أصبح غليظًا، يُفتت روحه ببطء..

ماذا بعد!

انتهت الحياة وانتهى كل شيء، أيظلُّ هكذا؟ دون حياة! أم يعافر..

ولكن كان عليه أن يأخذَ حذره، فمعافرتُه تلك أدت إلى طريقٍ لا نهاية له سوى الدماء!

سمع صوتَ ارتطام شيءٍ ما بالأرض، التفت سريعًا ليُبصر أخاه هائمًا على ظهره مغمضَ العينين..

ما زال الدمع يذرفُ من مقلتَيه، اقتربَ من أخيه، قام بخلعِ ملابسه كاملة، ثم أمسكَ بقدمه وقام بسحبه خلفَه متوجهًا صوب الغرفةِ الماكثة في آخر الممر،



دلف إليها واحتكاكُ جسد أخيه بالأرض يصدرُ صوتًا ضعيفًا يؤلم القلوب..

أغلقَ الباب خلفه وتركَ كل ما يمتُّ للإنسانية من معنى خارجًا، لتغرقَ الغرفة في ظلامٍ مميت، أضاء الأنوار، وقام بسحبِ أخيه ليتركه في وسط الغرفة، ثم توجَّه ليُحضر عددًا لا بأسَ به من الشموع قد حضرها مسبقًا، قام بتثبيت خمسةٍ منهم في منتصفِ جسده العاري، اثنتان على صدره، وواحدة في المنتصف، والاثنتان الأخيرتان على كتفه، تحرك حثيثًا ليُمسك بكوبِ ماء، ولكن ما بداخلهِ كان أشد احمرارًا، كوبٌ يحملُ الدماء!

دماء قطةٍ قام بسلخها منذ قليل..

توقفَ عند رأس أخيه، ثم سكبَ عليه محتوى الكوبِ حتى آخر قطرةٍ منه ليصطبغَ باللون الأحمر القاني..

قام بإشعالِ الشموع، وتحركَ ناحية مفتاح الإضاءة ليضغطَ عليه فتغرق الغرفة في لونٍ أحمر جهنَّمي، وأثناء تراقص لهيبِ الشموع، لاحظ شيئًا صغيرًا يركضُ على حائط الغرفة وما إن حرك نظرهُ ناحيته حتى غاصَ ذلك الشيء بداخلها، ارتعشَ جسده واقشعرَّت أوصاله، نفضَ عن رأسه هاجسَ الخوف، ثم اتجهَ صوب كتابٍ موضوع على كومود بنهاية

الغرفة، أمسكه بكلتا يديه واقتربَ من أخيه ليقف بجانبِ رأسه، وما إن بدأ في القراءة حتى برز رأسُ كائنٍ عجيب الملامح من الجدارِ خلفه، والابتسامةُ مرتسمةٌ عليه برعب لتكشفَ عن فمٍ حُرم من الأسنان..

خرج صوت (إبراهيم) مرتعشًا مذبذبًا من فمه:

- بهطيش، بهطيش، عاميش، عاميش، احضر، احضر، باسمِ ملك الملوك، وباسم ملكِ الجان والشياطين، وباسم ملك العفاريت، فلتأتي الآنَ يا بهطيش، احضر لتُنفذ لي ما أريد، يا مالك الملوك، يا سيد الجان، يا ابن الشياطين، يا والد العفاريت، قُم من سباتك، وكن ليَ المعين، غليوش، غليوش، الساعة، الساعة، العجلة، العجلة، بهطيش، بهطيش.

وما إن أنهى كلماته حتى تردد بكاءُ طفلٍ صغير داخل الغرفة، تبعته ضحكةٌ أنثوية شرسة، مع امتزاجِ صراخٍ متقطع من شخصٍ يبدو أنه يُعذب، فتراجعَ للخلف في رعبٍ مهيب، كادت أن تتعثرَ قدماه، وبرغم تعاظُم الهولِ من حوله وضعفه أمامه إلا أنه استطاع شحذَ بعضٍ من القوة وعزمَ على إكمالِ ما بدأه..

تحرك حثيثًا ناحية مطرقةٍ ومسمار قد تجاوز طولهُ الثلاثين سنتيمترًا، صنعه خصيصًا لإكمالِ مهمته، أمسكَ بهما ومشى صوب رأس أخيه، ثبتَ المسمار على رأسه، وبيدٍ مرتعشة، ودموعٍ هاربة، ومشاعر شيطانٍ قد استحوذَ على إنسانٍ ضعيف، هوى بالمطرقةِ على المسمار لينغرزَ في رأس أخيه فينتفضَ جسده بغتةً ثم يسكن مرةً أخرى..

يسكن إلى الأبد..

أصابهُ الجنون، وظلَّ يطرق بالمطرقةِ بكل قوته حتى التحمَ المسمار مع الأرضية، واصطبغَ وجهه باللون الأحمر أثرَ دماء أخيه، بقعةٌ حمراء تتوسع أسفلَ الرأس في مشهدٍ مريب، وكأن إبليسَ هو من يقتُل أخاه وليس من بني آدم كباقي البشر..

أثناءَ استمراره في الطرق، رفعَ رأسه ليبصرَ عجوزًا يبكي بحرقة، ووجههُ مقطع والدماء تتساقطُ منه بغزارة، أمسكَ بكتفَي (إبراهيم) بفزعٍ قائلًا:

– ما الذي فعلتهُ أيها الأحمق؟ لقد قمتَ بفتح نارِ جهنم على البشرِ أجمعين!

واختفى بغتة، ليسقطَ (إبراهيم) مرتجفًا بهلع، فلم يعد يتحمل ما يحدث، صرخَ بكل قوته، وأصابته نوبةٌ صرع، فظل يصرخ ويرتعشُ جسده، وفي

نفس اللحظة يتراقصُ لهيب الشموع على ألحان صراخِ عددٍ لا بأس به من البشر، وكأنهم يُعذبون!

زحف أرضًا عائداً للخلف، فتهامست في أذنه أصواتٌ كالحيوانات، بدأها مواءُ قطة، تبعَه عواء كلب، لتختمَ بفحيح ثعبانٍ ضخم، فوضعَ يده على أذنيه وشرع يصرخ هلعًا بلا توقف..

ازدادت الأصوات ممتزجةً مع صراخه..

وإذ فجأةً يتوقفُ كل شيء!

سادَ صمتٌ قاتل، صمت يزيد الموقفَ رهبة، فلم يُسمع إلا تهدُّج أنفاسه وتصارع دقاتِ قلبه لضخ دمٍ هربَ مع روحه التي رحلت بقتلِه لأخيه..

توقفَ على قدميه سريعًا، وتلفت يمينًا ويسارًا، لتهاجم الغرفة رياحٌ عاصفة، وتنطفئ الشموعُ كلها دفعةً واحدة، فيُقبض قلبه..

وفي نفس اللحظة مع الهدوءِ المريب، باغته صوت يهدُّ أركانَ الغرفة متفوهًا بكلماتٍ ركع لأجلها الخوفُ والرعب في آنٍ واحد:

– أهلًا بك يا خادم سفريوس..



استدارَ بجسده سريعًا والخوف يمزقُ كل ذرةٍ فيه، فأبصر وجه كائنٍ عجيب الملامح، يرتكزُ وسط الغرفة بإضاءةٍ خافتة مسلطة عليه، شعرَ بالموت، فتراجع للخلف بفزعٍ ليهوي جسدُه إلى هاويةٍ لا يعلمُ مستقرَّها، صرخ بقوةٍ وتعالى صراخُه، ليكتشفَ بأنه قد سقط في بئرٍ سحيقة، فازدادت صرخاتهُ بنحيبِ شخص يموتُ من فرطِ ألمِ قلبه.

عام ١٩٠٣..

غرفةٌ حمراء وسط شعلةٍ من جهنم، يتوسطها جسرٌ صغير محمَّل على فراغٍ أسفلهُ نار مشتعلة، وعلى جانبيه كراسٍ ملطخة بالحمم البركانية، يجلسُ عليها عددٌ لا بأس به من سكان (سفريوس)، وفي نهاية الجسر ترتكنُ ثلاثة كراسٍ في الوجهة مشكَّلين على نفس الوتيرة، إلا ذاك الذي يتوسطُهم، ضخمٌ عظيم الهيئة ومهيأً للحاكم كي يزيده فخرًا وعزة، وبجانبهم تمثالان مصنوعان من الحجارةِ الكريمةِ البيضاء، يلمعان فيسُرَّان الأنظار، مُشكلين على هيئة كائنٍ ذي عينٍ واحدةٍ واسعةٍ مشقوقةٍ بالطول، جسدٌ يشبه الإنسانَ إلا من أظافرَ طويلة في أقدامه، أصلع الرأس، بلا أنفٍ ولا أسنان وفمه صغيرٌ يكشف عن لسان ثُعبانٍ مشقوق من المنتصف، مُمسكَين في أياديهما صولجاناتٍ ذهبية تتشكل في نهايتها كرةٌ مشتعلة..



يدورُ بين الحضور اجتماعٌ هام للتحدثِ في شئون المملكة، وأثناء انهماكِهم في حديثهم يقتحمُ المجلس (بهطيش) سيرًا متجهًا صوب (غليوش) الجالسِ على عرشه، انحنى أمامه قبلَ أن يقول:

– ما الأمر يا أبي؟ قُمت باستدعائي!

ارتسمت معالمُ الغضب على وجهِ (غليوش)، وانحدرَ عن حديثه الهام بداخل الاجتماع، ثم قال بصوتٍ اهتزت لأجله الجدران:

– أدعى الحاكم أيها العبد.

تسمَّر (بهطيش) واقفًا كالصخر دون مبالاة، وترجَّل (غليوش) من عرشه متوجهًا صوبه أثناء تقاذفِ الكلمات من فمه:

– بالأمس حاولتَ عبور البوابة الفاصلة بيننا وبين الجان، ومنذ عشرة أيامٍ كنتَ على وشك خطفِ شيطانٍ واقفٍ على حافة مثلث برمودا، واليوم قتلت نفسًا بشرية!

التصقَ به وقام بطرقِ رأسه بمخلب سبابته مردفًا:

– ما الذي يفكرُ فيه ذلك الرأس؟ أتريد نهايةَ العالم؟ أم أنك تحاول أن تُخلَّ بنظام الكون؟!



أنزلَ (بهطيش) يد والده، ثم أدارَ جسده عائداً للخلف، والحضور يشاهدُ ما يحدث بصمتٍ أثناء قوله:

– لمَ الخوف؟ لمَ الاختباء؟ كل ما في الأمر هو أنني أردتُ الظهور.

توسعَت عينا (غليوش)، فتوقف (بهطيش) غضبًا وكأن سحرًا ما قد شلّ حركته..

– ليسَ خوفًا ولا اختباء، منذ آلافِ العقود قام جدُّك الأكبر بالخروجِ من سفريوس والنظر إلى الكواكب الأخرى، فلم تتحمل المخلوقاتُ قوته، واختلّ توازن العالم، بعدها قررَ المكوث بعيداً إلى الأبد.. المساحة المقدرةُ لنا تعادل تلكَ المقدرة لبني البشر، هُم لا يستطيعونَ تجاوز حدود كوكبهم، وإلا ماتوا، وكذلك نحن، لا نستطيع تجاوز حدود كوكبنا، وإلا فنى كل مخلوقٍ فوق الكواكب.

قالها (غليوش)، ثم اقتربَ ليتوقف أمام عينِ (بهطيش) وأكمل محذرًا إياه غضبًا:

– ابتعد عن المخلوقاتِ الأخرى يا بهطيش، وعِش كبني جنسك دونَ العبث بقوانين الكون، وإلا...

ساقَ قدميه عائداً لعرشه، وأردف:



– وإلا نفيتُك إلى اللامكان.

صُعق (بهطيش) من حديثِ والده المتحجر، ولكنه ظل ثابتًا كالوتدِ دون ارتياع، فقد أقسمَ من دواخله على عصيانه، وأقسمَ على معرفة ما تحمله العوالم الأخرى..

مشى متوجهًا صوبَ الباب مرفوع الرأسِ وعيناه تلمعان شرًا وحقدًا، وتركَ الغرفة دون التفوه بكلمةٍ واحدة، ليزفرَ الأب جحيمًا من قلبه حزنًا على ابنه الوحيد..

ثم نظرَ الحاكم إلى الجالسين أمامه وقال محذرًا:

– اتركوا بني البشر وشأنهم فلا دخلَ لنا بهم، واتركوا إبليسَ وأبناءه، ومملكة الجان، فالحرب بينهم قائمةٌ منذ ملايين السنين، ما شأننا نحنُ بها؟! أما عن ابني بهطيش، فاتركوه لي.

سقطَ (إبراهيم) وصراخه استمر ولم ينتهِ حتى اصطدمَ جسده بالأرضِ ولكن دون ألم!

توقف متحاملًا على قدميه فشعرَ برمالٍ أسفلهما، تلفتَ حوله بخوف، شعَّ نورٌ أحمر في الغرفة كلها، فاكتشفَ بأنه داخل مقبرةٍ للأموات..



لقد دُفن لتوه حيًّا!

ما الذي فعلهُ بنفسه ذلك المجنون؟!

ركض بفزعٍ داخل المقبرة في محاولةٍ فاشلةٍ منه للخروج، ولكن الجدرانَ أخذت تضيقُ من حوله موشكةً على عصرِه، دفعها بعزمٍ يديه فتوقفَت مكانها، تركها فعادت تضيقُ من جديد، قام بدفعها بكل قوته، وبعد ثوانٍ خارت لها قواه بدأت الجدرانُ في العودة، دفعةً تلو الأخرى حتى عادت الأربعةُ جدرانٍ من جديد، التفتَ بعينيه جانبه ليجد شخصًا مهترئًا يساعدهُ على دفعِ الجدران..

تراجعَ للخلف وصرخ بصوتٍ مكتوم، ابتسمَ الرجل وتكوَّم على الأرضيةِ في كفنه ليُكمل مماته..

بكى..

بكى كما لم يبكِ من قبل..

المسكين، واجهَ ما لا يتحمله بشرٌ على الإطلاق، وأثناء بكائه شعر بيدٍ توضع على كتفه، التفتَ سريعًا لتلتفَّ اليدُ معه، فأمسكها ليجدها يد هيكلٍ عظمي دون جسد، فألقى بها عرضَ الحائط..

ظل يهذي بكلماتٍ غير مفهومة، يخربشُ بأظافره على الجدران، لا بابَ ولا خروج، دُفن في القبر وما مِن معين..

– موتةٌ تستحقها على ما فعلتَهُ بأخيك..

ترددت تلك الكلماتُ من خلفه، فالتفت ليُبصر جسد الإنسان المهترئ، ولكنه كان ساكنًا!

الدمعُ ما زال يتسابق في الركض على وجنتيه، رمقَ بعينيه شخصًا يركض بجانبه، فاستدارَ مجددًا ليجد الغرفة فارغةً تمامًا..

تحرك حثيثًا ناحية الجدار، جلسَ ساكنًا إليه والتف حول جسده في محاولةٍ فاشلة لاحتواءِ نفسه، شرعَ في البكاء والنحيب، ليمتزجَ معه صوتُ بكاء أطفالٍ يتردد صداه في المدفن، وضع يديه على أذنيه وظل يصرخ، ليزدادَ الصراخ من حوله حتى أوشكت آذانهُ على الانفجار، فقال بصوتٍ عالٍ يمتلئُ نحيبًا:

– ما الذي تريده مني؟!

ليسكنَ كل شيءٍ بغتة ويسود الصمت، فيجد نفسه جالسًا على كرسي بداخلِ غرفته، وما زالت جثةُ أخيه نائمةً في المنتصف، تحرك ببطءٍ صوبه ودموعه تتساقطُ كأسراب النمل الهاربة على خديه،



اقتربَ من رأس أخيه، فتحرك الرأسُ وقام بفتحِ عينيه ليكشفَ عن مقلتين سوداوتين مشقوقتينِ بالطول، وفي نفسِ اللحظة انطلقت كلمةٌ من فمه تشقُّ طريقها لمسمعهِ هولًا:

– سفريوس..

فركضَ بكل قوته ليخرجَ من الغرفة، استقل الدرج خارج الشقةِ ليضحى في ثوانٍ معدودات يركضُ كالمجنون في تمامِ الساعة الثالثة بعد منتصفِ الليل وسط الطرقات.

(٢)

ربما حان الوقت لتتمردَ على قيودك..

سنة ١٩١٠..

في مكانٍ ما بأحد الصحاري، يجلسان على الأرض أمام فحمٍ مشتعل يغزوهُ اللون الأحمر، موضوعٌ عليه برادُ شاي على وشك الغليان، صوتُ الرياح تعصف وتتخبطُ في جلابيبهم، كانت كل مهمتهما أن يحرسا مصنعًا مهجورًا منذ سنوات.. ينتهي الماءُ من الغليان، فيمسكُ أحدهما بالبراد ويقوم بملء كوبٍ ويناوله للآخر قائلًا:

– أتعلمُ يا سمير، منذ مدةٍ ليست بكبيرة كنت جالسًا هنا، وإذ فجأةً ومن حيثُ لا أعلم تظهر أمامي قطة سوداء ذات عينٍ تشع إحمرارًا كالدماء، ظل مواؤها يعلو حتى فَزعت وكدتُ أموت رعبًا، فأمسكتُ بحجرٍ صغير وركضتُ خلفها، وإذا بها تهبُّ في وجهي حتى كادت أن تخرج روحي فزعةً من محجرها، أقسمُ لك بأنني قد رأيتها أثناء عودتها إلى الصحراء تزداد طولًا كلما خطَت بأقدمها حتى اختفت عن أنظاري، ومنذُ ذلك اليوم وأنا أخافُ الجلوس وحدي في هذا المكان المريب!



انفجر (سمير) ضاحكًا بعد أن أبصرَ عينا (عبد المقصود) والرعبُ قد تشكَّل بداخلهما، فغضب (عبد المقصود) من سخريةِ (سمير) وكاد أن يقذفَ فحمةً مشتعلة نحو فمه حتى يصمُت، لولا أنه أنهى نوبةَ قهقهته قائلًا:

- أنتَ جبانٌ يا عبد المقصود! أنصحكَ بأن تكف عن تناولِ المخدرات.

- أقسمُ لك بأنني أقول الحقيقة.

التقطَ (سمير) كوب الشاي ورشفَ منه بضع رشفات، واستشعرَ معدته تؤلمه من كثرة القهقهة، ثم قال مستهزئًا:

- أرجو أن تصمت، فما عدتُ أستطيع تمالكَ نفسي من الضحك.

فتجاهله (عبد المقصود) وقام بملءِ كوبه هو الآخر، ثم رفعهُ بيده صوب فمه وإذا به يشعرُ بهاجسٍ ما جعله يلقي بنظرهِ صوب الصحراء ليبصر كلبًا أسود اللون يقفُ أمامهما وعيناه تطقانِ باللون الأحمر، ارتعشَ (عبد المقصود) وقال بفمٍ مذبذب:

- سميرا!

لم يلقَ استجابة، فقالها بصوتٍ عالٍ وكأنه يستنجد:

– سميرا!

فزعَ (سمير) قائلًا:

– ماذا هناك يا عبد المقصود؟ أتذكرت قصةً خرافية أخرى وقررت أن تنهشَ عقلي بها؟!

لكزهُ بيده مشيرًا إلى الكلبِ الذي انتصبَت أذناه دون حراك، فضحكَ (سمير) قائلًا:

– أتخافُ من كلبٍ أيها الجبان؟!

وتناول صخرةً بيده وتحاملَ على قدميه ثم قذفها عليه، فاصطدمت بالكلبِ وسقطت جانبه دون أن يتألم أو يتحرك! ارتعشت قدما (سمير) وتراجعَ للخلف، ثم أمسك بصخرةٍ أخرى وقذفها لتصطدم برأس الكلب وتسقطَ أمامه..

نظرَ إليها الكلب بلا أدنى مبالاة قبل أن يركضَ صوبهما، فصرخا بكل قوتهما وركضا إلى حيث يمكثُ باب المصنع فأغلقاهُ خلفهما، ليشتعلَ الباب بين أياديهما فيتراجعا للخلفِ والرعب قد تدفق دفعاتٍ هائجةٍ داخل قلبيهما..

تذبذبت الأرض أسفلَ قدميهما أثناء انصهارِ الباب، ليظهرَ كائنٌ أحمر اللون ذو عينٍ واحدة مشقوقة بالطول، مقتربًا منهما بخطواتٍ تحفرُ الأرض حفراً، فسقطَ (عبد المقصود) أرضًا بعد أن صعدت روحه إلى بارئها من هولِ ما رأى، وظلت عيناهُ جاحظتان في أصعب موتةٍ يذوقها بشر..

صرخَ (سمير) وركض بقدميه مبتعداً للخلفِ بينما عيناه مسمّرتان على ذلك الكائن الذي نهضَ من الجحيم، ثم استدارَ سريعًا حتى تحلقَ قدماه هاربتان، فاصطدمَ بالكائن الذي فاجأه بغتةً أمامه ليتحول إلى رمادٍ في غمضة عين..

غضب الكائن وتحركَ صوب (عبد المقصود)، اقتربَ منه، وقبل أن يُمسك بقدميه تحول إلى رمادٍ أيضًا فور لمسهِ له..

وبعد أن تبخرَ الاثنان، سمع الكائن صرخةً غاضبة أوشكت أن تمزقَ آذانه، وإذ فجأةً يظهرُ (غليوش) أمامه قائلًا:

– بهطيش! قلتُ لك ابتعد عن العوالمِ الأخرى.

كان (غليوش) ممسكًا بصولجان في يده اليمنى يشع نورًا أزرقًا، سلطه على (بهطيش) لتحتوي جسدهُ سلاسل ضخمةً في لمحِ البصر، فحرك



(غليوش) يده بعيداً ليحلق (بهطيش) وينفذَ من خلال دوامةٍ زرقاء تشكَّلت في الهواء..

ثم تبعهُ (غليوش) ليقتحمَ الدوامة هو الآخر، واختفت الدوامةُ تاركةً خلفها انفجارًا خافتًا ضعيفَ الصوت، ليسودَ الصمت من جديد وتتخبطَ الرياح في الفحم المشتعل فيزدادَ اشتعالًا.

****

جلس (إبراهيم) على كرسيٍّ ذي مفرشٍ أبيض، وأمامهُ طاولةٌ صغيرة تمكثُ فوقها زجاجة ماءٍ معدنية صغيرة، أمسكَ في يده فنجان قهوةٍ يرتعشُ من ارتعاشة يده، مرتشفًا منه رشفاتٍ متقطعة، بدا مهمومَ الهيئة ولكن فكره كان شاردًا، مثبتًا في اللاشيء..

يعجُّ المكان بالناس من حوله، صامتين لا يتحدثون، وهناك من يقفونَ على المدخلِ يتلقَّون العزاء من الحاضرين، كان من الواجبِ وقوفه، ولكنه أبى أن يتلقى عزاءَ مَن تلوثت يدُه بدمائه، فيُطبق المثل القائل «يقتلُ القتيل ويسير في جنازته»..

وما أدراكَ ما القتيل! إنه أخوهُ الوحيد، تركه دونَ عودة..



التمسَ أهله العذر منه عندما رفضَ الوقوف بجانبهم على مدخلِ العزاء، كي يستمع لكلماتٍ محفوظة لن تخمدَ ناره..

بل هم مَن سيقفون ساعاتٍ على مضد ثم يعودونَ أدراجهم، فبعد وفاة أبيه وأمه لم يقف بجانبه أحد، تركوه جميعًا دون سائلٍ أو معين..

لا يعترفُ بوجود أهلٍ له، ولن يعترف..

تركَ فنجان القهوة على الطاولة، وساق قدميه خارج العزاء مع تتبعِ الحاضرين له بأعينهم، خرج ليقف في العراءِ بعيدًا عن فضولهم، دلف إلى مكانٍ خالٍ تمامًا، جلس على حجرٍ كبير وقام بإشعال سيجارةٍ وشرع في اغتصابها ببطءٍ حتى تُخمد نار قلبه..

يفكر فيما فعلَه!

ماذا أراد؟!

أرادَ فقط أن يتمتع بما تحمله السلطة والمال والنفوذ من استثناءاتٍ وهمية تميزه عن سائرِ البشر، فقتل أخاهُ وأضحى وحيداً في حياةٍ لا تستحق قطرة دمعٍ من أعيننا، نعيشها متخبطين في جراحنا حتى يحين ميعاد رحيلنا..



ماذا جنينا؟!

لا شيء!

فقط جراحٌ وآلام..

شردَ في السماء حتى انتهت السيجارةُ من يديه، فألقى بها جانبًا، اشتدت برودةُ الهواء من حوله فدفَن يديه في جيب سترته، توقفَ على قدميه مغلوبًا من صراعاته ليصطدم بصوتٍ تردد كصدى يُحلق من جبلٍ بعيد:

– سفريوس..

انتفضَت ذرات كيانه فاستدارَ فاقداً إرادته ليعبُر من بابٍ شفاف فيسقط على وجههِ أمام موجاتِ بحرٍ أوشكت أن تضربَ رأسه..

توقف على قدميه سريعًا محاولًا الركض بعيداً عن المياه، ليُفاجأ بجسده الضئيل يركضُ بين الرمال بصعوبةٍ بالغة..

تفقد نفسه مندهشًا، ليُصدم بأنه قد تحول لكائنٍ صغير الحجم، لا يعلم عن كنههِ شيئًا!

* * * *



- بهطيش!

خرج ذلك الصوت محدثًا إياه من كائنٍ آخر يشبههُ ولكنه كبير الحجم، يركضُ على قدمين تُشبها قدمي الإنسان ولكن بأظافر طويلة، أحمرُ اللون، أصلعُ الرأس، ذو عين واسعة مشقوقة بالطول، بلا أنفَ ولا أسنان، لسانه مشقوقٌ كلسان الثعبان وفمه صغير الحجم..

توقف (إبراهيم) مذهولًا لما يحدث، لم يبدِ أية استجابةٍ لصوت الكائن، ولكنه فقط أحسَّ بالرعب يحتل جسده..

- لا تقترب من المياه!

ركضَ صوبه وأمسكَ بجسده واحتضنه..

- يا بني، إن المياه المالحةَ تقتلنا، لمَ لا تستجيبُ لتحذيراتي؟!

أخذه ومشى مبتعداً عن المياه، لتظهر أمامهما مملكةٌ أسطورية شامخة الارتفاع، تعومُ في الهواء بأسوارٍ ذهبية وجدرانٍ فضية اللون، فغرَ فاهه عن آخره وجحظت عيناه، وحدَّ من خطاه حتى دلف إلى تلك اللوحة الفنية، لتتعثرَ قدماه ويسقط أرضًا..



التفّ بجسده سريعًا ليبصر جموعًا من الناسِ ملتفين حوله، التقطَ بضع ثوانٍ ليستوعب الأمر، إنه ما زال داخل صوانِ عزاء أخيه، وقد تعثرَ لتوه في كرسي ليسقط أرضًا، فيصمتَ قارئ القرآن والحاضرون ليشاهدوا العُجاب أمامهم..

تحاملَ للنهوض على قدميه سريعًا، اعتدلَ بجسده، وركض خارج العزاء متجهًا صوبَ المنزل، والأفكارُ تتبارز في ساحةِ معركة تكاد تفتكُ برأسه.

****

سقطَ (بهطيش) أرضًا بعد أن عادَ إلى القصر صوب اختراقه للدوامة، وقفَ (غليوش) ناظرًا له وقد ازدادَ غضبه حتى اهتزت الجدرانُ من حوله، تحامل (بهطيش) ووقفَ على قدميه أثناء سيرِ (غليوش) نحوه قائلًا:

– ابنٌ عاق!

بعد أن نطقها سارَ حتى أصبح على مقربةٍ منه، وقامَ بصفعه على وجهِه ليسقط أرضًا..

– لا نسعى لأذية بني البشر، لا نريدُ أن نظهر، أنتَ تعرف بأننا مخلوقاتٌ لا يعلم أحد بوجودها، الإنس



والجن والشياطين يعبثونَ مع بعضهم البعض، فما دخلنا نحن؟!

ظل يتحدثُ مقتربًا أكثر من ابنه الذي زحفَ بعيداً في أمل النجاةِ من بطش والده له، وما إن وصلَ إليه حتى قام بالضغطِ على عنقه بمخالبه ورفعهِ للأعلى حتى تقابلت عيناهما محدقتينِ في بعضهما البعض:

– أنيما، إن كوربوري، موتوم..

تشنجَ جسد ابنه بين يديه إثرَ قوله تلك الكلمات بصوتٍ خفيض مسلطًا نظره عليه دون رحمةٍ ولا رأفة، واستأنف:

– إن لم تعُد لرشدك سأقومُ بنفيك داخل عينِ السولفا، ولن تعود من جديد..

تلوى (بهطيش) بين يديه أثناءَ صراخه لتخرج كلماته قائلة:

– الضعف، الضعف، أنتَ ضعيفٌ تأبى الظهور.. سأكسرُ القاعدة دائمًا، ولن تقدرَ على إيقافي، أما عن مدينتكَ الفاضلة، فقد أضحت في عدادِ الموتى..



ليـصـرخَ أباه بـصـوتٍ عال:

– افعـل ما تـشاء، ولـكـن ليـس هـنـا!

ثم ألقى به بعيداً عن يديه، أخرجَ صولجانه من سترته، وسلطه عليه ليُحلقَ الابن في الهواء، ثم حركَ الصولجان عاليًا، لتنفتحَ بقعة نورٍ حمراء تشبه العين في تكوينها، وفي لحظةٍ قامت بابتلاع (بهطيش) هو وصراخهُ المهول الذي انتفضَ على إثره شعبُ مملكة (سفريوس)، ولم تسلم منه حتى ذراتُ الجماد.

* * *



(٣)

الانتحار ليس فقط أن نُنهي عهد الروحِ داخل الجسد، بل من الممكن أن ننتحر وما زالت نبضاتنا تصارعُ الحياة في معركةٍ خاسرة..

نائمٌ على فراشه، يتنفسُ كعداءٍ في جولته الأخيرة، يشهق تارةً ويزفر تارةً أخرى، يتقلبُ باستمرار، وفي أحلامهِ يركض، يهرب، يحلقُ بقدميه بعيداً عن تلك الأصواتِ المرعبة، يتلفتُ هنا وهناك، توقف بغتةً أمام بئرٍ عميقة، ألقى نظرةً بداخلها ليُبصر عينًا حمراء تحدقُ به، فتراجعَ في خوف، توقف بعيداً ليُفاجأ بيدٍ تدفعه بكل قوتها فيسقط في جوف ظلامها..

صرخَ (إبراهيم) بكل قوته ليفيق من نومهِ في تمام الساعة الرابعةِ فجرًا، التقطَ أنفاسًا محملة بعبير الحياةِ النقي، تحاملَ على قدميه وتحرك ليعبرَ من خلالِ باب الغرفة، وتثاءبَ أثناء تحركه..

ركضت أمامه فتاةٌ سوداء اللون، كثيفةُ شعر الجسد، ونفَذت إلى ظلمة الحمام، لكنه لم يلحظ وجودها، تحركَ صوب الثلاجة، قام بفتحها وتناول منها زجاجة ماءٍ وارتشف منها بضع رشفات، ثم توجه صوبَ الحمام ليُلبي نداء الطبيعة..



دلف إليه، وقبل أن يضغطَ على مفتاحِ الإضاءة، تعثرَ في شيءٍ ما ملقى على الأرض، فشهقَ بصوتٍ مكتوم وأكملَ ضغطته، ليبصر دلواً صغيراً قد انزوى بعيداً عن مكانه، فالتقط نفساً عميقاً قبل أن ينحيه جانباً..

جلسَ على المرحاض وتجاوبَ مع الوضع، وما زالت عيناه ناعستانِ تتوسلان له حتى يعودَ للنوم، ساد الصمتُ إلا من أصوات معركةٍ تُقام في معدته..

بضع ثوانٍ ركضت ليسمعَ مواء قطةٍ تقفُ أمام باب الحمام، لم يمتلك قطةً في يوم من الأيام، فمن أين أتى ذلكَ الصوت؟! ارتعش، قامَ واقتربَ من الباب، هندمَ ملابسه وصوت القطة ما زال يترددُ وفي ازدياد، ووضعَ يده على مقبض الباب وأصابعه تتخبطُ في بعضها البعض، والعرقُ ينسدلُ تصبباً من جبينه..

ما زال مواءُ القطة يعلو، تبعه حفيفُ خربشة من خلف الباب، فأغمضَ عينيه عازماً على كشفِ مصدرهما، وضغطَ على المقبض ساحباً الباب بغتةً بكل قوته ليبصرَ اللاشيء..

لا وجود لقطةٍ أو غيرها، ضربَ على رأسه، ثم سمعَ صوت ارتطام شيءٍ ما بداخل غرفته، فتحركَ ببطء متوجهاً صوب الغرفة، توقف أمامها ليسمع أصوات



همسٍ خفيض، وكأن هناك أفرادٌ يتحدثون داخلها بصوتٍ غير مسموع، علا الصوت لتزداد معه ضرباتُ قلبه فينتفضَ جسده من هول موقفٍ أقحم بداخله..

أمسكَ مقبض البابِ وما زالت الهمساتُ تعلو، حاول التماسكَ وفتح الباب ببطء، ليسكتَ الهمس تمامًا، فدفعَ الباب ووقف أمامه متأملًا حقيقةَ ما تسللَ إلى مسمعه أم أنه بقيةٌ من حلُم..

أخبرتهُ الغرفة أن كل شيءٍ على ما يرام، فتراجعَ للخلف ولكن الخوف كان قد تمكنَ منه، فاصطدم بشيءٍ ما، صرخَ أثناء التفافته ليشاهد فتاةً ذات أعينٍ بيضاء، شعرٍ أسود طويل، وملابسها ملطخة بالدماء، ما إن رآها حتى صرخَت قائلة:

– سفريوس، بهطيش.

التف بجسده وعاد فزعًا إلى غرفته، أغلقَ عليه بالمفتاح، ركض فوق فراشهِ وارتمى عليه، ثم غطى جسده كاملًا بالملاءة حتى لا يبصر شيئًا..

لحظات هدوءٍ طالت، سمعَ بعدها صوت ارتطام بابٍ في الحائط، خمَّن بأنه باب الحمام، اصطكت أسنانه فصار وقع صريرها مزعجًا على آذانه، ارتعشَ جسده، ثم سمع صوت مقبضِ باب غرفته يُفتح، اطمأنَّ لأنه

قد أقفلَ الباب، ولكن لسوء حظه فقد فُتح الباب بالفعل!

سمع خطوات أقدامٍ آتية صوب فراشه، ما زال جسده ينتفض، وقلبه على وشكِ التوقف..

برودةٌ عجيبة قد احتلّت كيانه، توقفت الخطواتُ بجانب الفراش، فأخرجَ عينيه ببطءٍ من أسفل الملاءة ليبصر الأرضيةَ دون أن يلاحظه ما يقفُ بجانبه..

قدمان حافيتان حمراوان ذواتا مخالبَ طويلة..

كادَ أن يموت رعبًا، فقام بتغليفِ رأسه مرةً أخرى، اقترب صاحبُ القدمين بفمهِ من أذنه، وبدأ بالحديث بكلماتٍ مبهمة:

– أكوستيتويت دومينوس نوستير سولفا..

فصرخ (إبراهيم) هائجًا مذعورًا وسحبَ جسده من أسفلِ الملاءة وركضَ خارج الغرفة متوجهًا نحو باب الشقة، حاول فتحه ليكتشفَ بأنه قد التحمَ بلا فتحةٍ للخروج..

فالتفّ بجسده واحتضن البابَ بظهره، سمع صوت صراخٍ يدوي داخل الجدران، تلفّت بعينيه



كالمجنون..

لم يعد يحتمل..

يحاول الفرارَ ولكن ما من مخرج..

لذا فعليه أن يواجهَ مخاوفه الآن!

حاولَ التحامل على قدميه بأقصى إرادته، ثم صرخَ بأعلى صوته قائلًا:

– ماذا ترغبُ مني؟!

وفي وسطِ الظلامِ المبتلع لكل تفاصيلِ المكان، ارتسمَت على الحائط كلماتٌ تشع نورًا أحمرًا ويبدو عليها بأنها قد كُتبت بدماءٍ بشرية:

«حرر سيدَك»

لم يستدلَّ من ذلك على شيء، ففزعَ قائلًا:

– أحرر مَن؟! لم أفهم شيئًا!

ليسمعَ صوت ضحكاتٍ تترددُ في المكان كله، ويتراقصُ على نغماتها الأثاثُ من حوله..

لحظاتٌ وشب حريقٌ ابتلعَ المطبخ بأكمله، فصرخَ مرعوبًا بلا انقطاع، استمرت صرخاته بضعَ دقائق، ثم سمع أصواتَ طرقاتٍ على الباب من الخارج، ليسقط أرضًا فاقدًا للوعي.

****

عام ١٩١٥..

فراغٌ مهيب يُرهب الأبدان، لا شيءَ سوى صخرةٍ مرتسمةٍ على هيئة عين تعومُ محلقةً في الهواء، تلتف ببطءٍ حول مركزها، يقفُ عليها كائنٌ ذو لونٍ أحمر مخيف الملامح، مربوطٌ بسلسلةٍ من قدمه اليسرى، يسيرُ ذهابًا وإيابًا فوق الصخرة، عيناه تطقانِ شررًا، تلتف الصخرةُ في الهواء فيصادفَ بأن يُصبح رأسه بالأسفل وقدماهُ بالأعلى، وتكرر التفافتها كلما انتهت..

يسودُ الهدوء في المكان بطريقةٍ مريبة، طغى الثباتُ عليه وتوقفَ كل شيءٍ في غمضة عين، إلا من أنفاسِه، ثم ترددَ صوتٌ ضخمٌ يقول:

– بـهطيش..

تلفتَ (بـهطيش) متعجبًا، وعندما أدركَ صاحب الصوت قال سريعًا:



- طارش!

فعادَ الصوت قائلًا:

- حاولتُ مساعدتكَ بشتى الطرق ولكنني فشلت!

خطى (بهطيش) خطواتٍ للأمام لتتعثرَ قدماه، فعادَ إلى حيثُ كان حزينًا، أمسكَ بيديه السلسلةَ الحديدية التي طوّقته بقسوتها بكل قوته وصرخ قائلًا:

- لقد تمكنَ مني ذلك اللعين، أقسمُ بأنني لن أتركه..

فترددَ الصوت في الفراغ مرةً أخرى:

- قُل لي كيفَ أحررك؟!

جلسَ (بهطيش) على الصخرةِ شاردًا في اللاشيء، يفكرُ في معضلةٍ لن تنتهي، غدرَ به والده وألقى به في (عين السولفا)، من ذا الذي يقدرُ على كسر لعنة خطَّها ملك (سفريوس)، ولكن عقله ما زال يبحثُ بتمعنٍ عن مخرجٍ لفك تلك اللعنة، وما يمتلكهُ عقل (بهطيش) من حيلٍ يصعبُ على الجميع استيعابها..

- طارش! الحلُّ في ثلاث قطع مختلفة..



سادَ الصمت أثناء انتظارِ (طارش) لكلماتِ (بهطيش) على أحر من جمر، التقط (بهطيش) نفسًا عميقًا قبل أن يقول:

– إنسيٌّ وجنيٌّ وشيطان..

لم ينطق (طارش) بكلمة وكأنه انتظرَ التفسير..

– قلبُ إنسانٍ من حديد، وقلب ملكِ ملوك الجان، وقلب...

نظرَ إلى السماء بعينينِ جاحظتين قبل أن يردفَ قائلًا:

– وقلبُ إبليس.

****

أفاقَ (إبراهيم) من غياهبِ وعيه ليكتشف بأنه نائمٌ على فراشه وبجواره فتاةٌ تغرق في نومٍ سحيق على كرسي مكتبه، تحرك بصعوبةٍ ليشعرَ بثقلٍ في رأسه، تحاملَ على يديه واعتدلَ على الفراش، أغمضَ عينيه بقوةٍ ثم فتحهما مرةً أخرى، توقفَ على قدمين رخوتين تحتملانِ ثقله الخفيفَ غصبًا، كاد أن يسقطَ لولا أنه تمالك، تحرك صوب الفتاة

النائمة كملاكٍ أبيض بجناحين فيروزيين، نبّهها بطرقةٍ حنونة على رأسها قائلًا:

- من أنتِ؟

لتفيقَ فزعةً من النوم، توقفت على قدميها وقامت بمساندتهِ على الوقوف قائلة:

- استرِح أرجوك، سأحضر لكَ قليلًا من الماء..

أعادتهُ للفراش والتفّت راكضةً خارج الغرفة، فترجّلَ من مكانه وخرج خلفها، وبعينين ذابلتين شاهدَ ما هو أبشع من مكوثهِ على فراشه، المطبخُ مفحّمٌ وكأنه خرجَ للتو من محمصةٍ قضت عليه، صُعق مما رأى، وأمسكَ رأسه متألمًا قبلَ أن يقول:

- ما الذي حدث؟!

أحضرت الفتاة كوبًا من الماء، فتناول نصفهُ على مضض، ثم نظرَ في عينيها في محاولةٍ لامتصاص إجاباتٍ لأسئلته منها..

- أنا لميس، جارتُك الجديدة وأسكنُ الشقة في الجهةِ المقابلة لك، سمعتُ صوت خبطٍ هائل على باب شقتكَ من الداخل، فاستدعيتُ حارس العقار وطرقنا البابَ بعزمٍ قوتنا ولم يستجِب لنا أحد، ثم

اشتممنا رائحةَ حريق، فقُمنا بكسرِ الباب لنصطدمَ بك مكوماً على الأرضيةِ والنارُ تلتهم المطبخَ دون هوادة..

لم يفاجأ مما سمعَه، مشى ببطءٍ صوب كرسي موضوع بجانبِ أحد الأركان، جلسَ عليه، استغرق بضع ثوانٍ قبل أن يتذكرَ الفاجعة التي حدثت له قبل ساعاتٍ قليلة، وبعد أن استوعبَ ما جرى، حدق بعينيه في الفتاةِ التي فاقت حدودَ الجمال، ثم قال بصوتٍ متهدج:

- اغربُي عن وجهي!

تعجبت الفتاةُ من ردة فعله، أو من كلمةِ الشكر التي قذفها بها، فلم تعقب بكلمةٍ واحدة وخرجت من الباب بقلبٍ منكسر وعينين على وشكِ إفراز محلولهما، وبعد أن أغلقت الباب تلفتَ بعينيه في أركان الغرفة، تذكرَ أخاه، فدفنَ رأسه بين يديه وأجهشَ بالبكاء.

****

توقفَ (طارش) على جسرٍ في الفراغ أمام ستةٍ من سكان (سفريوس)، أو بمعنى أدق من خدامِ (بهطيش)، وبجوارهِ زعيمٌ وقائد الحرس الملكي (طلمش)..

ينتظرونَ حديثه، متوجسين في حيرةٍ بعد أن جمعهم (طارش)، وقد انتهى سيدُهم بعد أن نُفي في (عين السولفا)، إلا أن الفضولَ قتلهم حتى يعلموا مرادهُ منهم..

سادَ الصمت أثناء عبثِ (طارش) في مخالبه ليُصدر صوتًا تقشعر له الأبدان، طالَ الهدوء قبل أن يقطعهُ بقوله:

- أقسمتُم على حماية سيدكم طوال حياتكم..

أعطاهم ظهره ومشى خطواتٍ بسيطةٍ للأمام ليكملَ قوله:

- ولكي يحررَّ بهطيش علينا جمعُ ثلاثة قلوب..

ثم نظرَ إليهم وأردفَ قائلًا:

- قلبُ ملك ملوك الجان، وذلك أسهلُ ما يكون، وقلب إبليس، وليس صعبًا على حراسِ ملك مملكة سفريوس إحضارُ قلب إبليس، بل إحضار إبليس راكعًا في غمضةِ عين إن أرادوا..

جلسَ في الفراغِ وكأن كرسيًّا ما أسفلَ جسده، دققَ في معالمِ وجوههم قبل أن يقول:



– وقلبُ إنسانٍ لا يهاب شيئًا، وهذا هو الأصعب على الإطلاق حيثُ أن الجبن متوغلٌ في كينونته..

لم ينبس أي مخلوقٍ منهم بحرفٍ يشفي نارَ صدره، تحركَ من مكانه واقترب منهم جميعًا قبل أن يقول:

– من معي؟

علا صوت أحدهم من الخلفِ قائلًا:

– لن نخالفَ أوامر سيدنا غليوش، أتريدُ نهايتنا؟!

طالت مخالبُ (طارش) حتى التفَّت حول عنقِ من تحدث، فسحبهُ بكل ما يملكُ من جبروتٍ حتى مثُل أمامه، اشتعلت عيناه هولًا أثناء قوله:

– حسنًا، فلتموت!

ثم ضغطَ بمخالبه على عنقه لتنغرزَ بداخلها غرزًا ويختنقَ الكائن بين يديه، جحظت عيناهُ واشتعل رأسه قبل أن تتساقطَ دماءٌ زرقاء من أذنهِ وفمه، فتركه (طارش) ليسقط أرضًا..

ركض الخمسةُ الباقون مبتعدين، ليحلقَ خلفهم (طلمش) مخرجًا من جسده سلسلةً حديدية، وقذفها عليهم لتخترقَ أجسادهُم ويسقطوا أرضًا

غارقين في دمائهم الزرقاء، ثم عاد أدراجه، فتوقفَ بجانب (طارش) وقال هامساً:

– بمن سنبدأ؟ إبليس أم ملك ملوك الجان؟

فابتسمَ (طارش) قائلًا:

– سأترك لكَ إبليس وملك ملوك الجان، واترك لي الإنسي.

ليبتسما في وجهِ بعضهما البعض بشرٍّ فاق حدودَ اللامعقول.

* * * *

(٤)

في رحلةِ سيرك نحو الجحيم، لا تجزع إن صفعتكَ اليد التي مهدت لكَ الطريق إليه..

يتربعُ على عرشه كمن ملكَ الدنيا جمعاء، يعبثُ بمخالبه في بلورةٍ سوداء ذات دخانٍ أسودَ شيطاني..

غرفةٌ سوداء لونها، تشتعلُ جدرانها وتزداد اشتعالًا كلما توسعَت عيناه، في الوسط يستقرُّ جسرٌ واسع يقوده إلى خارجِ الغرفة، الأرضية معلقةٌ على حممٍ من نار، تحومُ الشياطين أسفلها يستمدون قوَّتهم من الجحيم، ويجلسُ هو بعينين غاضبتين ووجهٍ عابث ناظرًا للبلورة، تكشفُ له عن أمرٍ هام ولكنه غير كاملِ الوضوح، يحاول جاهدًا تفسيرَ ما يراه ولكنه عجَز..

هاجَ مضطربًا بصوته مناديًا خادمه المبجل، الملك (أهريمان) إلهُ الشر في الديانةِ الزرادشتية، فحضرَ ثابتًا، تجاوزُ طوله الخمسةَ أمتار، جناحاه حمراوانِ مشتعلان، يُمسك في يده سيفًا من النار، عيناه حمراوان ووجهه أسودٌ منطفِئ، جسده مرقطٌ بين الأسود والأحمر، ولديه نظرةٌ يموت من يتلقاها، على عكسِ (إبليس) الجالسِ على عرشه، واللونُ الأحمر



يغلب جسده، دميمَ الهيئة مرعبَ الوجه والمخالب، يمسكُ بصولجانٍ ذي ثلاثة أسِنَّة بين يديه، عيناهُ واسعتان جاحظتان حمراوان، أنفه مدبب، فمهُ واسع ويمتلكُ لسانًا كلسانِ الثعبان، محنيَّ الظهر وكأنه يتعمدُ ذلك..

توقفَ (أهريمان) أمام عرشِ (إبليس) أثناءَ انحنائه للأمام تحيةً وإجلالًا له، ثم قال:

- سيدي المبجل إبليس!

ترجلَ (إبليس) من عرشه، مشى متوجهًا صوبه، ووضع يده على كتفهِ قائلًا بصوتٍ يشبه الفحيح:

- أهريمان، أتتذكرُ ذلك الكائن الذي جاء إلى كوكبِ الأرض منذ آلاف السنين؟ ذلك الذي قتلَ الكثير من المخلوقات دون وجهِ حق، وقد أحدثَ خللًا حينها في الكوكب!

تبدلَ وجه (أهريمان) من الهدوءِ إلى العبوس، واحتلت قسمات وجههِ القلقُ والريبة قبل أن يقول:

- نعم أتذكره جيدًا..

زفرَ (إبليس) بضعَ حممٍ من فمه ضيقًا قبل أن يقول:



– هناك كائنٌ يتخبطُ بين جدران عالم الجن، لا أستطيعُ تحديد كنهه ولكنه مهولُ القوة، ولن تتحمل الكائناتُ الأرضية قوته إن مسَّها، العجيبُ في الأمر هو أنه يتحرك بين ممالكِ الجن بيُسرٍ غير معهود، فتارةً يقتحم بوابة جن البحار وتارةً جن الصحراء وتارةً الهواء، والأشد عجبًا أنه يظهر في الثلاثِ ممالك في آنٍ واحد، لا أعلمُ ما يريده ذلك الكائن، ولكنني أعتقدُ بأنه من نفسِ فصيلة الكائن الأول..

شردَ (أهريمان) قليلًا، فلم يكن ليتوقعَ أن يعود ذلك الكائنُ البغيض مرةً أخرى، قلب الأمرَ في رأسه أثناء تحديق (إبليس) لوجههِ الباهت، ولأن غرورَ (أهريمان) واعتقاده بأنه لا يُقهر مسيطران سيطرةً كاملة عليه، فقد قادهُ إلى ما لم يكن في الحسبان، فجحظت عيناه بغتة قائلًا:

– أنا له..

تراجعَ (إبليس) متوجهًا صوب العرشِ أثناء تحذيرهِ بصوتٍ امتزجَ بالهلع:

– لن أقبل التضحية بإلهِ الشر بكل سهولةٍ كما تظن، فأنتَ لك قدركَ وقوتك، أما عن القوةِ التي تظهرُ على ذلك الكائن، فلا أستطيعُ أنا بنفسي



التصدي لها، أرجو ألا تتسرع، ولا تنسى ما حدثَ في المرة السابقة..

أشارَ (أهريمان) إلى الجسر بيديه فانفتحَت بوابةٌ من الأسفلِ، خرج منها ثلاثةُ شياطين نحيلي الجسد، يقفونَ كالذئاب، يحملون على ظهورهم سيوفًا وأدرُعًا، لا يمتلكون أعينًا، ولكنهم يبصرونَ ما لا يبصرهُ ذوو العيون..

- إبليس، لا تقلل من قوةِ أهريمان، أنتَ تعرف جيداً ما الذي أنا قادرٌ على فعلهِ في طرفةِ عين، اتركهُ لي ولا تتعجل النتيجة..

ثم استدار وتبعه الثلاثةُ شياطين نحو بابِ الخروج، ليخرجَ صوت (إبليس) من بعيد قائلًا:

- الماءُ المالح يا أهريمان..

ليلتفتَ (أهريمان) إليه بعينين خبيثتين، فابتسمَ (إبليس) مطمئنًا له، وخرجَ (أهريمان) من الغرفةِ بعزيمةٍ تطقُّ شررًا وقوة.

****

يجلسُ (إبراهيم) داخلَ غرفة والديه الساكنة في نهاية الممر، ممسكًا في يده اليسرى قطةً تحاول



التملصَ منه، وفي اليمنى سكينًا مسنونة، اقترب من عنقها وقام بجزِّها بكل ما يملكُ من شغفٍ للدماء، لتنفجرَ دماؤها أرضًا، تركها مكانها وتحرك حثيثًا صوب كتابٍ أمامه وبدأ في القراءة:

– بهطيش، غليوش، سفريوس، طارش، طلمش.. بهطيش، غليوش، سفريوس، طارش، طلمش..

ظل يرددُ كالمجنونِ دون استجابة، ظل ما يقاربُ ساعةً كاملة حتى نفدَ صبره، فألقى بالكتابِ عرض الحائط وخرجَ من الغرفة غاضبًا، توقفَ في منتصف الصالةِ وصرخ قائلًا:

– فعلتُ كل ما أمرتني به، أين أحلامي التي وعدتَ بتحقيقها؟!

أمسكَ رأسهُ ضاغطًا بكل قوته والتفَّ حول نفسه، وحيثُ تسكن مرآةٌ أمامه معلقة بالجدار، حدقَ بعينين حمراوين سبَّبها هروب النومِ من أجفانه، ثم التقطَ من على الكومودِ فنجان قهوةٍ قد مرَّ عليه أكثر من خمسة أيامٍ دون المساسِ به، وألقاه في قلب المرآة لتسقط قطعًا متناثرة، وارتسمَ بها وجهه متقطعًا والغل والحقد على قسماته..

لهثَ من شدة المجهودِ الذي بذله، اقتربَ من كرسي بجواره وجلس عليه ليُرخي بدنه، مجاهدًا



في استعادةِ أنفاسه الهاربة..

سمع صوتَ همساتٍ في غرفة التحضير، فابتسم بنشوةٍ وركض بكل قوتهِ ليقتحمها، فوجد كل شيءٍ ساكنًا وفي مكانه إلا اختفاءَ القطة بدمائها، ارتسمَ العُجاب على وجهه بضع لحظاتٍ قبل أن يشتمّ رائحة شواء، تتبَّع الرائحة ليجدَ القطة قد قُطعت إلى شرائحَ صغيرة وارتسمت على الحائط بلحمها المشوي كلماتٌ فجّرت في روعه الأهوال:

«أُقتل لميس»

ليشهقَ بفزعٍ ويحوم الرعب حوله قاصفًا قلبه.

* * * *

يحلقُ (طلمش) جالسًا في الهواءِ دون جناحين فوق مدينةِ بابل بالعراق، ممسكًا في يده شعلةً من نار يقلبُ فيها، وبعد أن ملَّ منها قذفها بعيداً لتضحى رماداً..

ثم استلقى بجسده، وسرعته قد تجاوزت سرعةَ الضوء، فيحدثُ أن ينتهي من مساحة البلدة في أقل من ثانية، ظل يأخذها ذهابًا وإيابًا دون كللٍ أو ملل، حتى توقفَ عند بئرٍ في وسطها، دقق بعينيه ليبصر خمسةً من الجنِ يقفون على بابها

كحراسةٍ حتى لا يقتحمها أحد، أطلقَ مخالبه الخمسة تحلقُ صوبهم، اخترقتهم فأصدروا انفجاراً هائلًا لا تدركهُ العين الآدمية..

حطَّ على البئرِ وعزمَ على اقتحامها، قلَب جسده فصار رأسه لأسفل وقدماه لأعلى، ثم غلّف نفسه بنورٍ أزرق، ونزل ببطءٍ متخفيًا داخل البئر، هاجمهُ ما يقارب المائة جني، فكان كل من يلمسُه يتفتت على الفور..

انتهت البئر، وتوقفَ في مفترقِ الطرقات حيثُ تفرعت منه سبعةُ ممرات، فشكّل أمام ناظره بلورةً صفراء ودققَ بداخلها، ظلَّ يُديرها بأظافره متفحصًا لها، ثم أطلقها بسبابته مشيرًا تجاه الممراتِ السبع لتنظرَ في أمرها، حتى توقفت أمام أحدها وقد تحولَ لونها أحمر زاهٍ، فأشارَ لها بعينيه، واختفت من مكانها..

ابتسمَ ابتسامةً صفراء وساق قدميه ليدلفَ إلى ذاك الممر.

****

توقفَ (إبراهيم) أمام باب شقةِ (لميس) مترددًا، ترتعشُ يداه إجلالًا للخوف الساكنِ في قلبه، حاول تصنُّعَ الابتسامة فخرجت منه باهتةً بلا روح، تحامل

على قدمين تهتزان بصورةٍ دائمة، التقط نفسًا عميقًا قبل أن يطرق بعض طَرقاتٍ مرتعشةٍ خفيضة على بابِ الشقة..

فُتح الباب لتظهرَ أمامه (لميس) بوجهها الملائكي متعجبة، دعتهُ للدخول بحرجٍ ولكنه أبى، فظل مبتسمًا يحاولُ استجماع كلماته حتى نجحَ أخيرًا:

– أريدُ إصلاح ما بدَر مني ليلة أمس، لذا أرجو أن تقبلي دعوتي لكِ على العشاء الليلة..

ابتسمَت بدلالٍ قبل أن تقول:

– إذا كانَ المكان جميلًا، سأفكرُ في العرض..

فنطق سريعًا دونَ أن يُفكر لحظة:

– شقتي.

حملت قسماتُ وجهها العُجاب، فأردف سريعًا:

– لا أحبُّ الأماكن المزدحمة، موعدنا الثامنة مساءَ اليوم، العنوانُ ليس صعبًا، الشقة المقابلة لشقتك.. سأنتظرك..

ثم غادرَ عائدًا شقته لتنفجرَ هي ضاحكة، أشار لها بيديه مرتعشًا قبل أن يغلقَ الباب، فحركت رأسها



بتعجّب قبل أن تدلف إلى الداخل وتغلق خلفها، ووقف هو ناظرًا من عينِ بابه متفقداً لها، ثم جلس مكانه خلف الباب شارداً خائفًا.

* * * *

ركض جنيٌّ بكل قوته صوبَ عرش ملكِ ملوك الجان، كان بادٍ عليه الذعرُ والفزع، اقتحمَ الغرفة الملكية دون إنذار، وتوقفَ أمام الملك لاهثًا، ثم قال:

- سيدي الملك أبانوخ، هناك كائنٌ غريب لا نستطيعُ تحديد كنهه، اقتحم المملكة وقام بقتلِ نصف الجيش، وما زال يقتلنا بلا رحمةٍ ولا هوادة وكأننا سربٌ من البعوض، أنجِدنا يا سيدي! فقد عجزنا عن خدشهِ خدشًا واحداً..

انتفضَ الملك، فقام فزعًا وارتدى تاجهُ المطبوع عليه اسمه، ورداءيهِ الاثنين المصنوعين من اللونِ الأسود، ثم أمسكَ عصاه وخرج مسرعًا لمواجهةِ المصير المكتوب.

* * * *

التحمَ (طلمش) مع مملكةِ الجان يُبيدهم وكأنهم استحالوا أمامه ذبابًا بلا حولٍ ولا قوة، يطوفُ بينهم بمخالبه فيتساقطوا واحداً تلو الآخر، حاولوا بشتى

الطرق أن يجرحوه ولو جرحًا واحدًا، فلم يستطع أن يمسَّه أحد بخدشٍ واحد، ملامحُ الغضب ترتسمُ على وجهه أثناء قتلهِ لعددٍ لا بأس به..

نصفُ جيش ملكِ ملوك الجان قد سقط، وقد تردد صدى موتهم في العوالمِ جمعاء، ولكنهم أبدًا لن يُحركوا ساكنًا ليُساندوا سيدهم، فمن الذي سيؤدي بنفسهِ إلى التهلكة..

يعبثُ (طلمش) على أوتارِ أرواحهم مستمتعًا استمتاعًا لم يعهدهُ من قبل، ويُردد باستمرارٍ أثناء تساقط الجثثِ من حوله:

– أين ملككم أيها الجبناء؟ فلستم أهلًا بما سيُصيبُكم من سيفي..

قالها وقد أخرج سيفًا مشتعلًا باللون الأزرق من ظهره، ليندفعَ بكل قوته إلى أكثر من مائة ألفِ جني فيتساقطوا أرضًا من هولِ ما هو مقبلٌ عليهم، ماتَ الكثير وهرب الأكثر، تزعزعَ الجيش وأوشكَ على الفناء..

ما بقيَ إلا القليل، وبعد أن ملَّ صراخهم توقفَ أمامهم مفزعًا فيهم بكل ما يملكُ من قوةٍ مهلكة حدَّ الإفناء قائلًا:

– القلب أو الموت..

لم يفهموا شيئًا، فانطلقَ صوبهم هائجًا بسيفه، ليُبادوا من شعاعهِ ويتبخروا في لمح البصر.

* * * *

يركضُ (أبانوخ) في الممر والجدرانُ تصرخ من حوله، فزعاتُ بني جنسه تترددُ في آذانه، وكلما سقط أحدهم مضجرًا في دمائه تخورُ قواه فتهدأ حركةُ ساقيه، ارتخى جسده وظهر الشيبُ على وجهه، يتخبطُ بين الصخور في محاولةٍ للوصول لمصدر صرخاتِ جيشه، ارتسمت الجراحُ على جسده، فمشى يجرُّ ساقيه، وما إن أوشكَ على الوصول حتى اصطدمَ بالهول أمام عينيه..

فرَّت الجنود لتتخبطَ ببعضها البعض في محاولةٍ للهروب، وتنفجرُ الجثث هنا وهناك، قطعٌ متناثرة من بني جنسه، دماءٌ خضراء قد اصطبغت بها الجدران، ركضَ الجني الذي حذَّره، ورمقه بنظرةِ استياءٍ قبل أن يُكمل مسيرته، ثم وصل أخيرًا متزامنًا مع سقوطِ آخر جندي من جيشه، ليُباد كله عن بكرةِ أبيه..

توقفَ في منتصف ساحة المعركةِ محدقًا في الكائن الذي أبادَ جيشًا كاملًا وحده دون مساعدة،



فزعًا مذهولًا خائفًا لأول مرةٍ في حياته، هو من يهابهُ الجميع، هو أقوى جني قد خُلق، هو من لا يرتعدُ من شيء، يرتعشُ الآن غير قادرٍ على الوقوف، يتحاملُ بصعوبةٍ حتى يُظهر ثباتًا لا يحملهُ بداخله..

مسحَ (طلمش) مخالبه من دماءٍ أغرقته، ووضع سيفيهِ في غمدهما، ثم وقفَ صلبًا صخرًا لا يتحرك، مسلطًا عينيه على الماثلِ أمامه، يسود الصمتُ والنظرات تتلاقى في حربٍ دامية، يتفحصه (أبانوخ) بتعجبٍ مستفسرًا عن كنهه، وبعد أن عجزَ عن التفسير قال مرتعدًا:

– ما أنت؟!

اقتربَ منه (طلمش)، حركَ مخالبه على وجههِ ليشتعلَ ويصرخ (أبانوخ) قبل أن يتراجعَ بضع خطوات..

– أنا من أتى لينتزعَ قلبك.

كاد أن ينطقَ (أبانوخ) لولا أن (طلمش) قد غرزَ مخالبه ببطءٍ في صدره، وقبضَ على قلبه ليشهقَ (أبانوخ) بين يديه شهقتهُ الأخيرة، ثم انتزعه بهدوءٍ ليُخرج قطعةً خضراء تشع نورًا، سقطَ على إثرها جسد (أبانوخ) هائمًا دون حياة، ثم اشتعلَ ليتحول



رماداً، وضع (طلمش) القلبَ داخل سترته وحلقَ في البئر ليخرج منها مردداً ضحكةً أفزعت كل كائناتِ الجن التي تسكنُ الأرض..

وما إن وصلَ نهايةَ البئر وخرج منها حتى أُصيب بشعاع نورٍ أسود في قدميه ليسقطَ أرضًا، فحرك عينيه سريعًا ليبصر ثلاثة شياطينٍ يشبهون المستذئبين وفي وسطهم وقفَ (أهريمان) مصوبًا سيفه على (طلمش)، وبنبرةٍ قوية ممتزجةٍ بابتسامةٍ صفراء، قال (أهريمان):

– أهلًا بك في مواجهةِ الجحيم..

وانطلق على فورها الثلاثةُ شياطين بسرعةٍ مهولة صوب (طلمش)، فتَبعهم (أهريمان) بصاعقةٍ من سيفه، ليلتحموا جميعًا في معركة سيصرخُ على إثرها العالمُ أجمع.

* * * *



(٥)

في حضرتهِ لا تَخفى عنهُ خافيَة

مهما حاولتَ فلن تلوذَ بالفِرار

لا تَستهِن أبدًا بما في صرخَتِه

فالموتُ آتٍ لمن عَصى لا خَيار

تحولت شقةُ (إبراهيم) من مقبرةِ الجحيم إلى جنةِ خلد، وتبدّل كل شيء، قام بتنظيفها حتى التمعَت، وحضَّرها كمطعمٍ لطيف، وضعَ في منتصفها طاولةً بكرسيين، وقام بإحضار زجاجة عصيرٍ ووضعها في المنتصف، طبقينِ من اللحم المقدد، وطبقينِ من الأرز، وبجانب كل طبقٍ شوكةٌ وسكين، ثم ملأ الصالةَ بالأضواءِ الزاهية الملونة، وأتمَّ جمال المكانِ بإسدال زينةٍ تجذبُ القلوب..

وبعد يومٍ شاق أثرَ التجهيز، ارتدى بزةً كلاسيكية اكتسَت كل أجزائها بلونٍ أسودَ أنيق، مشّط شعر رأسه وهندمَ ذقنهُ القصيرة، ثم ختمَ زينته برشّ قطراتٍ من عطرٍ فرنسي زاده جاذبية، جلس على كرسي الطاولة منتظرًا إقبالَ الساعة الثامنة في توجسٍ ممزوج بأنهار من الخوف، حتى قطعَ اضطرابهُ صوتُ طرقٍ خفيف على الباب فهرولَ نحوه

مسرعًا، توقف أمامه وهندمَ من ملابسه مرةً أخيرة قبل أن يقومَ بفتحه، ليجدها واقفة كملاكٍ بجناحين يعجزُ عن وصفِ جمالها الشعراء، ترتدِي فستانًا أسود اللون يُبرز مفاتنها، ويزيد رونقَ بشرتها البيضاء بهاءً يخطفُ الأنظار، مع انسدالِ شعرها على كتفيها، أسودَ اللون غامق اللمعان، ممسكةً في يديها باقة وردٍ غرقَ في سحرها، التقطها منها ثم قبّل يديها ودعاها للدخول، لتسيرَ ببطءٍ حتى اشتعل نارًا بداخله، توجهت صوبَ الطاولة، كان قد أغلقَ الباب وركض خلفها ليسحبَ الكرسي على الطريقةِ الإيطالية فتجلس عليه، جلس أمامها على الكرسي المقابل مبتسمًا ابتسامةً هادئةً ولطيفة، وضعَ الورد في منتصف الطاولة وهامَ في عينيها، لتقطعَ تركيزه بقولها:

– لم أكن أعلمُ بأنك تمتلك ذلك القدرَ الكبير من الرُّقي..

ابتسمَ بخجلٍ قبل أن يحتوي الشوكةَ والسكين بين أصابعه ويبدأ في تقطيعِ اللحم أمامهُ قائلًا:

– فقط أحاول.

أمسكَت هي الأخرى بالشوكةِ والسكين، ثم قامت باقتطاعِ قطعةٍ صغيرة وألقت بها داخلَ فمها، ثم

أخذت تلوكها ببطءٍ لتُسحر من طعمها الشهي فتقول:

– يا لها من وجبةٍ لذيذة للغاية! ما اسم المطعم الذي يُقدمها؟

تناولَ كوبًا من الماءِ ليسُدَّ ظمأه ويُواري ارتجافَ قلبه، ثم قال:

– أنا من أعدَّ الطعام..

ارتسمت معالمُ التعجبِ على قسماتِ وجهها فأردفَ مستأنفًا:

– منذ ذلكَ اليوم الذي تركني فيه أبي وأمي، صرتُ المسئول عن كل ما يخصُّ البيت، من طهي وتنظيف وكل تلك الشئون، حتى أصبحتُ أستطيع عمل كل شيءٍ دون مواجهة أي معضلة..

قذفَ قطعةً أخرى بين أسنانهِ يلتهمُها ببطءٍ ثم أكمل:

– أخي رحمةُ اللّه عليه كان مسئولًا مني مسئوليةً كاملة، من مصروفاتِ التعليم والطعام والشراب وغيرها، فاعتدتُ على حملِ الأعباء على كتفيَّ منذ



صغري، حتى استطعتُ تحويلها إلى متعةٍ حتى لا أملَّ مع مرور الوقت..

أشارَ بسكينهِ إلى الطبق الماكثِ أمامها قائلًا:

– فمثلًا، الطبقُ الذي أمامك، إيطالي الصنع، يُدعى (بيف تندر لوين)، عبارةٌ عن قطعة لحمٍ مشويٍ مغطاةٍ بالصوص المخصص لها، وأنا شخصيًا أُفضل صوصَ المشروم، وبجانبها بعضٌ من الأرز أو البطاطس..

وابتسمَ بعدها ابتسامةً هادئة تنمُّ عن استمتاعهِ بالحديث معها، ثم أكمل:

– نسيتُ أن أخبرك بأنني قد عملت كطاهٍ لبضع سنوات في مطعمٍ صغير في منتصف البلدة..

كلما تحدَّث فغرَت فاهها من كثرةِ التعجب، أخذت تلتهمُ الطعام بنهمٍ وهي تقول:

– وماذا تعملُ الآن؟

وقبلَ أن تلتقطَ أنفاسها بعد إلقاءِ سؤالها أجاب:

– حارسًا..

ثم حدقَ في عينيها قائلًا:



– أعملُ حارسًا ليليًا في ملهى ترفيهي، إن أردتِ الذهابَ إليه في يومٍ ما، فقط أخبريني، وسأحصلُ لكِ على تذكرةٍ مجانية..

ثم ضحكَ مقهقهًا بشكلٍ غريب قبل أن يُكمل طعامه، فلم تستطع إخفاءَ تعجُّبها من تلك الشخصيةِ الغريبة..

أنهيا طعامهما وتحركا من أمامِ الطاولة بين الشموع الحمراء، توجّها صوب أريكةٍ مرتكنةٍ أمام التلفاز، أجلسها عليها قبلَ أن يقوم ببثِّ فيلمٍ كوميدي صرخَا ضحكًا عليه، وأثناءَ اندماجِهما قال مستفهمًا:

– أرجو أن تحكي لي القليلَ عنك، فلا أحبُّ الأشخاص المجهولين..

أسقطَت عينيها من على التلفازِ لتلتفتَ إليه قائلة:

– كما تعلم أدعى لميس، عمري خمسةٌ وعشرون عامًا، والدايَ قد سافرا إلى أمريكا منذ عشرةِ أعوام، وأعيش وحيدةً في مصر لأنني ببساطةٍ أعشقُها حد الجنون، أهيمُ حبًا في سحرِ النيل، أعشقُ أهلها الذين يمتازون بالطيبةِ والكرم، وحتى ذلك التراب الذي يُعمي أعيننا أثناء سيرنا في طرقاتها أحبُّه،

أعشق الرسم، وأمتلكُ محلًا صغيرًا لبيع الورد أطلق فيه طاقتي..

توسعَت ابتسامته لوجودِ فتاةٍ مثلها تتصفُ بالطيبةِ والنبل، بدأت ستائرُ عينيها في الانسدال، تذكرَ ذلك المنوم الذي وضعهُ على قطعةِ اللحم التي تناولتها، شعرت بالدوارِ فتوقفت على قدميها ممسكةً برأسها، التفَّت الجدران من حولها، وظهرَ هو أمامها متمثلًا بابتسامتهِ في سبعة صورٍ متجاورة، حاولت استيعابَ ما يحدث، وما كانَ إلا أن سقطت على الأريكة غارقةً في سباتٍ عميق..

أمسكها من قدميها ساحبًا إياها صوبَ الغرفةِ المظلمة في نهاية الممر، وقد اختفت الابتسامةُ من وجهه وتبدلت خوفًا يُصارع ما يبقيه من أنفاسٍ على قيد الحياة.

* * * *

في غمضة عينٍ كان قد وضعَ (طلمش) قلبَ ملكِ ملوك الجان في سترته، قبل أن يتفادى هجومَ الثلاثةِ شياطين ويبتعدَ محلقًا في الهواء، ليتبعوهُ على الفور ومعهم صاعقةُ (أهريمان) تُلاحقه بجبروتٍ مفرط..



تلوى (طلمش) في الهواءِ مرسلًا هجماتٍ مضطربة بسيفيهِ نحو رؤوسِ الشياطين الثلاثة، في محاولة منه لتفادي الصاعقةِ التي تعد معضلةً تعيقُ تحركاته، تصدَّرت له الشياطينُ بضراوةٍ وقوة ليس لهما مثيل، متّحدين لتكوين فلاذٍ لا يُقهر، وهاجموهُ معًا في آنٍ واحد مما أصابهُ في أكثر من منطقةٍ في جسده، وقد واجهَ صعوبةً في موازنة الأمور..

تبعتهُ صاعقة (أهريمان) لتحرقَ جزءًا من جسده مسببةً له الأذى، فحلّق حتى انتهى به الأمرُ فوق السحاب، ليُطلق (أهريمان) العنانَ لجناحيه فيطيرَ خلفه بسرعةٍ مهولة، خرجا معًا من كوكبِ الأرض ليستقرَّا في الفضاء، وأثناء اختراقِ (طلمش) للفراغ بقوتهِ المهولة أطلقَ مخلبًا من مخالبه لينغرزَ في عين شيطانٍ من الثلاثة فصرخَ بأعلى صوته وتدحرجَ في الفراغ مصدرًا انفجارًا مهولًا..

ابتسمَ (طلمش) بشرٍّ مهيب قبل أن يتوقف بغتةً محلقًا للخلف، ليتجاوزهُ الاثنان المتبقيان بغباءٍ مندفع، فأطلقَ عليهما شعاعًا من عينيه محرقًا أجسادهما ليصيرا رمادًا على الفور، ثم باغتهُ (أهريمان) بصاعقةٍ في وجههِ فسقطَ نحو كوكبِ الأرض بقوةٍ مهولةٍ مصابًا بأعتى الجراح..



حلقَ خلفه (أهريمان) بقوةٍ واحتوى جسدَه بين يديه، ثم صدَّرهُ لأسفل وتوجهَ نحو الأرضِ باذلًا أقصى سرعته، ليشتعلَ الهواء احتراقًا بهما ويسقطا في غلافها الجوي بقوةٍ مهولةٍ فيخترقاهُ مصطدمينِ بالجحيم..

تأوَّه (طلمش) من قوةِ الصدمة، وتوقفَ (أهريمان) سريعًا ليُطلق عليه صاعقةً بلورية تلتفُّ حول جسده، حاملةً إياه بقسوةٍ للأسفل فيخترقَ الصخور ويعودَ فيمكث بجانب البئر، ثم ألقى به في الهواء وقام بإرسالِ كتلةٍ من الماءِ المالح نحوه، لتصدمَ (طلمش) فتُحرِق كل ما بلغتهُ من جسده، ويصرخ على إثرها من هولِ ما مسَّهُ من عذاب..

وبعد برهةٍ صغيرة من الزمن أفاقَ مما أُقحم فيه واعتدلَ واقفًا في الهواء، ثم حلق متوجهًا صوب (أهريمان) الذي بادرَ بتوجيه صاعقةٍ نحوه، فقابل (طلمش) الصاعقة بكل ما يملكُ من طاقةٍ غاضبة واخترقها متألمًا، وظل يعافرُ محلقًا صوب (أهريمان)..

تلاقت عيناهما محدقتينِ ببعضهما البعض، فكلًا منهما قد أظهرَ أقوى ما عنده، وزادَ التحدي بينهما لتصرخَ النجوم هلعةً مما ترى، اهتزت الكرةُ الأرضية مما يحدثُ فوقها، وفزعت الصخور من هولِ ما شعرت به، ثم هدأ كل شيءٍ لتشتعلَ عيناهما



متأهبتين لهولٍ قادم، فيصطدمَ (طلمش) بـ(أهريمان) ويحدث انفجار مدوٍّ لم يسبق أن حدث مثله من قبل، وعلى إثره خرجت صرخةٌ أفزعت كل الكائناتِ الحية، ثم خمدَ كل شيء بعدها وكأنَّ حربًا لم تقم..

سقطَ (طلمش) لاهثًا بعد أن خارت قواه متخبطًا في جراحه، وبجانبه رمادُ (أهريمان) بعد أن لحقَ بشياطينه الثلاثة إلى جوفِ الجحيم.

* * * *

ألقى (إبراهيم) بجسدِ (لميس) في منتصفِ الغرفة، ثم أمسكَ بلاصقٍ أبيض اللون وقام بلفِّ جسدها بالكامل وكأنها مومياءٌ على وشكِ التحنيط، وبعدها أغلقَ فمها وأسرعَ بتثبيتها بالأرض حتى يصعُب حراكها إن أفاقت، ثم استرق نظرةً للكتابِ كي يقرأ منهُ سطرًا ما..

كان (طارش) هو من يقومُ بتوجيههِ لما سيفعله، فقتلُ ضحاياه لا يتمُّ هكذا من تلقاءِ نفسه، فيجب أن يكتسبَ مع كل ضحيةٍ تَغرق في دمائها صفةً جديدة من صفاتِ الوحشية، وتضحى موتتها من أبشعِ ما يكون، وما ذنبُ تلك المسكينة إلا أنها وثقَت بوحشٍ كاسر يتلبَّسُ رداء الملائكة كي يستطيعَ اصطياد ضحاياه..

وبالفعلِ قد أمسك دلواً موضوعًا بجانبه مليئًا بدماءٍ حيوانية، خليطًا من دماءِ كلابٍ وقططٍ، ثم قام بِسكبهِ على رأسها لتفيقَ وتتحركَ أطرافها ببطءٍ وتتلونَ بالأحمر، لحظاتٍ وفتحت عينيها لتفيقَ من منومٍ ضعيف..

التقطت دقيقةً كاملةً لاستيعاب الأمر، ثم تحركت متأوهةً بعد أن وضحتِ الصورة أمام عينيها المنقطة بالدماءِ الفاسدة..

اقترب من دلوٍ آخر سكنَت بداخله خمسُ قطط، وأتمَّ توزيعهم حولها في رسمةٍ لنجمة خماسيةِ الأضلاع، وقد سبقَ أن ثبَّت في الغرفةِ بأكملها عدداً لا بأس به من الشموع الحمراء، ثم ثبتَ شمعةً فوق كل قطةٍ منهم، وقام بإشعالها جميعًا، في حين أن عيني (لميس) تهرُبان في الغرفة فزعًا وقد تمثل الرعبُ داخلهما، تحرك صوب كرسي في ركنِ الغرفة وجلس عليه، ثم بدأ في قراءة نصٍ قد كُتب للتوِّ دون أن يشعُر بواسطة (طارش):

– الحريةُ أسمى شيءٍ في الوجود، ومن تُسلب حريتهُ ينتهي دون حُسبان، وقد سُلبت حرية سيدي، ووجب عليَّ تحريره.. السيد هوَ من يأمر، والعبدُ من ينفِّذ، قبلتُ أن أكون عبداً، وتكون أنت سيدي، قبلتُ أن ترعاني وأرعاك، قبلتُ أن تظهر أمامي، وقبلتُ أن أقبل يديك.. احمِنا يا سيدنا، وخذ



أرواحنا قرابينًا لك، خُذ ما تريد، وعِش للأمد البعيد، لا تتركنا يا بهطيش، فنحنُ بحاجةٍ إليك، احضر يا طارش، احضر كي تُحرر من أقسمتَ على حمايته، تشكل بهيئتك، ولن أفزع، بل سأنحني لك، فأنتَ يدُ سيدي، وأنا عبدٌ له.

ثم نحى الكتاب جانبًا، وأمسك بشمعةٍ من الشموعِ الخمس، بدأ بتلك الموضوعةِ بالضلعِ الأيمن من الأسفل بالتحديد، وقامَ بإطفائها في وجنةِ (لميس) اليمنى، صرخَت بداخلها وسقطت دموعها حزنًا على وجهٍ تشوَّه ولن يعود، ثم أمسكَ بتلك المجاورة للضلعِ الأيسر من الأسفل وأحرق بها وجنتها اليسرى، لتزدادَ صرخاتُ (لميس) المكتومة في أرجاءِ الغرفة، ثم أمسكَ بالمثبتةِ على الضلع الرأسي وقامَ بإطفائها في وسطِ جبينها، ليرتعشَ جسدها وتنتفضَ موتًا..

توجه صوبَ الضلعين الباقيين، أمسكَ بالشمعةِ في الجهةِ اليسرى، ثم اقتربَ من عينها اليسرى وقرّبها منها لتركض مقلتها فزعةً بالداخل، ثم دفسها بكل جبروتٍ داخلها لتُزمجر زمجرةً متألمةً كادت أن تُخرج روحها، وأمسكَ اليمنى بالشمعةِ اليمنى والأخيرة فأغلقت عينها اليمنى بقوةٍ مع صرخاتها، فقام بفتحها غصبًا ثم غرز شعلةَ الشمعة بداخلها، لتنطفئ عينها الأخيرة معلنةً انكسارَ آخر ما يربطها من أمل بالحياة..



وبعدها بدأت القططُ في الاشتعال وحدها، ابتسمَ (إبراهيم) وعاد للخلف، فتشكلت نجمةٌ خماسية محترقة حول (لميس) التي غابت عن الوعي مصارعةً أهوالًا من الألم وما زال بها بضعةٌ من أنفاسٍ على وشك الانتهاء، ظلت النيرانُ تتصاعد في الغرفة لدقيقةٍ كاملة ثم خمدَت بالكامل، وانطفأت الشموعُ كلها، فسادَ الظلام وسرَت برودةٌ عجيبة في الأجواء بعد أن كانت مشتعلة، وبعدها صمتَ كل شيء.

تحرك (إبراهيم) صوب (لميس) بخوفٍ بعد أن صمتت هي الأخرى، ليسمعَ صوتًا مهيبًا تردد من خلفه، كاد أن يمتصَّ دماءه رعبًا، قائلًا:

– إبراهيم!

ليلتفت (إبراهيم) ويدقق في السوادِ المظلم، وتشتعلَ شمعةٌ بجانبه، فشاهدَ كائنًا أحمر اللون ذا عينٍ واحدة مشقوقةٍ بالطول جالسًا على الكرسي، فكادَ أن يموت رعبًا.

* * * *

فزعَ (ساروخ) ابن (إبليس) بعد أن سمعَ صرخة (أهريمان)، فأمسكَ بردائه وحلق بكل قوته في عنانِ السماءِ متجهًا نحو مياه بحرٍ عميق، توقفَ



أمامه لخمسِ ثوان كانت كفيلةً بهياجِ البحر من حوله مشكلًا موجةً ضخمةً من المياه لتنحني ماثلةً أمامه، أشارَ لها بمخالبه فحلقَت في الهواء بجانبه، وقطع المسافة بأكملها في ثوانٍ معدودات، ثم حطَّ في الصحراء ومشى بخطى وئيدة، ووصلَ إلى مكان المعركة، فأبصرَ (طلمش) وقد كان على وشكِ الفرار هاربًا صوب (طارش) كي يسلمهُ القلب، لولا أن (ساروخ) قد فزعَ بكل قوته ناطقًا اسمه لينتفضَ (طلمش) ناظرًا للخلف، فاصطدم بموجةٍ بحريةٍ مالحة شاهقةِ الارتفاع، فغرَ فاههُ وأوشك على استخدامِ مهاراته، كاد أن يحلق هاربًا، لولا أن الموجة قد أهلكته داخلها ليصرُخ صرخةً مكتومة، واحترقَ بعدها جلدُ جسده لتتلوَّن الموجةُ كلها باللون الأزرق أثرَ دمائه التي سالت فورَ لمس المياه المالحة لها، وبعد أن تشربَّت الأرضُ بالمياه، حلقت روحه إلى السماء وتبقَّى جسدهُ وبجانبه بلورةٌ خضراء تشع نورًا..

اقتربَ منها (ساروخ)، أمسكها بين يديهِ قبل أن يضعها في سترته ويختفي تمامًا.

* * * *

صرخَ (بهطيش) هائجًا داخلَ (عين السولفا) بعد أن سمعَ صرخة (طلمش) المكتومة، فعلمَ بموته،



وبعدها اشتعلت عيناهُ غضبًا ونظر إلى السماء مفرغًا جميع سخطه:

– إبليس!

لينظرَ في الفراغ بعينين تطقان شررًا وكأنه يتوعدُ بالعقاب الشديد مَن كان سببًا في موتِ خادمه.

****

وقفَ (إبراهيم) وقد اختلجت الرعشةُ وقفته، فقد كانت المرة الأولى التى يقابلُ فيها ذلك الكائنَ الذي يحاول تحضيرهُ منذ أيام، وبعد أن حفظَ ملامحه، لم يعُد قادرًا على النظر إليه من هولِ هيئته المرعبة، فأغمضَ عينيه مرتعشًا، ثم قال بلسانٍ قد لُجم وبغباءِ بشرٍ يبحثُ عن السلطة والمال والنفوذ:

– نفذتُ ولم تحقق مطلبي، ماذا تبقى؟

تحركَ (طارش) من مكانه متوجهًا صوبَ أذن (إبراهيم) ثم همس بفحيحِ ثعبان قائلًا:

– اذبح لميس.

ارتعشَ (إبراهيم) والتفتَ خلفهُ بعينين مغلقتين، ثم فتحهما بخوف فلم يجد شيئًا، تلفَّت حوله برعب

متفقداً له ولم يجده، فتحرك مرتعشًا صوب سكينٍ قد ذَبح بها ما يكفي من القطط، واقترَبَ من (لميس) التي ما زالت أنفاسها تتصاعدُ ببطء، وفي ذاتِ اللحظة وقفَ (طارش) على سقف الغرفةِ مقلوبًا يشاهدُ ما يحدث..

قرَّب (إبراهيم) السكين من عنقِ (لميس)، ثم برعشةٍ تصحبُها قوةٌ جبارة حركَ يديه لتنفجرَ بركةُ دماءٍ أغرقَت وجهه، ثم ابتعدَ سريعًا ليُبصر صعودَ روحها في محاولةٍ يائسةٍ منها لمقاومةِ اللاصق المحتوي إياها..

نزلَ (طارش) ليتوقف أمام (إبراهيم) محدقًا فيه بعينه، ثم قال مبتسماً:

– لا أريد رؤية تلك الرعشة التي تسري في يديكَ أثناء قتلك لعملِّك.

ثم اختفى فجأةً لينتفضَ (إبراهيم) متلفتًا حوله في محاولةٍ لاستيعاب ما طلبهُ ذلك الكائن.

****

سمعَ (إبليس) صرخة (بهطيش) تترددُ في أذنه حتى كادت تهتِكها، فانتفض فزعًا فوق عرشه،

أعيَت الأفكارُ المريبة رأسه، وبعدها احتلّ الخوف كيانه، ليوقِن بأن القادمَ ليس يسيرًا على الإطلاق.

****

انتفضَ (طارش) أثناء وقوفه أمامَ (إبراهيم) واختفى بغتةً ليدخل دوامةً سوداء، توقفَ بداخلها بضعَ ثوان، ثم تحدث بصوتٍ خفيض خرجَ كترددٍ مذبذب قائلًا:

– أهلًا بكَ في لائحة المهلَكين، أرجو أن تأخذ حذركَ جيدًا، لأنني على وشكِ التهام روحك.

ثم رددَ اسمه أكثرَ من سبعة مراتٍ متتاليات:

– ساروخ...

****

يُحلق (ساروخ) في الفراغ بأقصى قوته، حتى وصل إلى مثلثِ برمودا، دلفَ إلى عرش أبيه، وجده هائمًا شاردًا، فمدَّ له يديه بقلبِ ملك ملوكِ الجان قائلًا:

– ما الذي أرادهُ ذلك الكائن من قلبِ أبانوخ؟

لينفثَ (إبليس) نارًا من فمه، قبل أن يترجَّل من عرشه ويُمسك قلبَ (أبانوخ) بيديه اليمنى،

وباليسرى يشكلُ في الهواء بلورةً زجاجية ليدفسَ القلب داخلها، ثم يُرسلها محلقةً فوق شعلةِ نارٍ خافتة كي تحفظَ القلب من التلف، ثم نظرَ إلى (ساروخ) قائلًا:

– هناك أمرٌ مريب على وشكِ الحدوث، يجبُ علينا الرحيل من مثلثِ برمودا.

اتسعت عينا (ساروخ) في تعجبٍ من قرار والدهِ المريب والمفاجئ..

– أتريدنا أن نرحلَ عن موطننا ونتركه لتلكَ الكائنات القذرة تفعلُ به ما يحلو لها؟!

زفرَ (إبليس) بالضيقِ قبل أن يقول مُحذرًا:

– إن لم نرحل، ستموتون جميعًا، ولن أكون معينًا لكُم.

ثم تركه وتوجهَ صوب العرش، ليردد (ساروخ):

– سيدي الحاكم إبليس، من تمردَ على كل شيء، يشعرُ بالخوف الآن؟! أنا لا أصدقُ ما أراه!

صرخَ (إبليس) غاضبًا قائلًا:



– أدركَني الخوفُ من أجلكم وليس من أجلي، فماذا ستختارُ لنفسك؟ الخوف أم الموت؟!

ليبتسمَ (ساروخ) قبل أن يلتف بجسده صوب باب الخروج مردداً بصوتٍ خفيض:

– أن أموتَ رافعًا رأسي أفضل من أن أهرب كالجبانِ من موطني.

تحوَّل (إبليس) في لمحِ البصر من مكوثه على العرش ليقفَ أمامه، ومدَّ يده ليمسكَ بعنقه كي يُعنفه، ولكنه اختفى من بين أصابعه غصبًا، تلفَّت حوله بخوف، فهو لم يعد يشعرُ بوجوده ضمنَ عالمه، لقد اختفى تمامًا، اختفى من كوكب الأرض، بل اختفى من الكون كله، فقلبهُ دقَّ بعدم وجوده..

وبعد أن أيقنَ تمامًا بفنائه، صرخ بقوةٍ مردداً اسمه:

– ساروخ!

ولكن ما من مجيبٍ ولا معين، فسلطَ نظره صوب قلبِ ملك ملوك الجان، ليبصرَ أيضًا الفراغ، لقد اختفى القلب، ومعه الابن..

من ذا الذي استطاع اقتحامَ المملكة ليختطفَ أعز ما يملكُ (إبليس) في غمضة عين؟

دون أن يشعر!

* * * *

(٦)

أنتَ من تختارُ بيديك، إما الموت، أو البقاء!

جسدك ملكٌ لك، فلا ترمِ اللومَ على شيطانك..

وقد كانَ الأمر، استطاعَ (طارش) تحويل (إبراهيم) من إنسانٍ رحيم إلى شيطانٍ رجيم، فكان الشرط ينصُّ على البحث عن شخصٍ ذو قلبٍ بلا رحمة، حاول مرارًا وعلى مرِّ السنين، فكان الجميع يموتُ في آخر اختبار، وكل ما في الأمر هو السيرُ على خطوات..

خطواتٌ مهمتها تحويلكَ حتى تضحى لا تعرفُ نفسك، أنتَ لست أنت، وعندما تقفُ أمام مرآتك سترى شيئًا آخر، شيئًا لا يمتلك قلبًا، حتى يُهيأ جيداً عند فقده له، فلا يئنُّ ولا يصرخ، فقط يُسلم قلبهُ دون رفض..

نفَّذ كل شيء، قتل كل مقربٍ وحبيب، حتى أضحى وحيداً، ولا يوجدُ فرق.. فقد كان وحيداً منذ أن فقدَ أعز ما يملك، والديه، اللذين تركاهُ يصارع آلام وحدته مع أخيه المسكين، فكان غبيًّا بلا ذرةٍ من عقل، ليفقد أخاه أيضًا..



فيعيشَ مرارة ما حضّره، هو من أحالَ حياته كطعامٍ بلا ملح، هو من اختارَ البغض والحقد والكره صفاتَه، هو من اختار كل ما هو منبوذ، لينبذهُ الجميع، فيضحى لا شيء، وعندها سيفقدُ قلبه ببرودةِ أعصاب، وها هو الآن، يسيرُ نحو الدرب الأخير، لحظة النهاية، نهايته هو، وبداية لآخر سيفزعُ منه العالم أجمع..

هيا خذ خطواتكَ وسِر للأمام، تقدم نحو اللامعقول، نحو الجنونِ اللامحدود، نحو الهاوية، نحو الغضب، نحو جهنم وبئسَ المصير..

هيا أيها الشيطانِ، تقدم نحو نيرانك، تقدم نحو النهاية، تقدم دونَ توقف، ولا تترك خلفكَ من يبكي عليك، فقد بكيتَ على الجميع قبل رحيلك..

توقفَ أمام مقبرة، مُمسكًا في يده مصباحًا كي يُنير له الطريق، نحاه جانبًا قبل أن يقتربَ من مطرقةٍ ضخمة ويحتويها بين قبضتيه، هندمَ من قفلِ المدفن قبل أن يهوي عليه فينشقّ إلى نصفين، قامَ بسحب الباب ليشتمّ رائحة الموت بين ثنايا قلبه، لم يتراجع، فلم يعد للخوفِ مكانٌ في قلبه، ونحى المطرقة جانبًا ليمسكَ بالمصباح من جديد، ثم دلفَ إلى المقبرة، وأغلق الباب خلفه..



سُحب جسده وكأنه قد سافرَ عبر الزمن، ليجدَ نفسه واقفًا في فراغٍ أبيض اللون، وأمامه كائنٌ مرعب الهيئة، فلم يخَف ولم يرتدع، ولكن العجيب أن الفزع قد ارتسمَ على وجه الكائن فور رؤيته لـ(إبراهيم).

* * * *

غرفةٌ بيضاء، لا نهايةَ لها، وكأن البياضَ يرسم لك طريقًا لتخطو عليه، ولكن مهما خطَوت فلا نهاية تبلغها أقدامُك..

يقفُ (ساروخ) ابن (إبليس) في المنتصف، وقلب ملك ملوك الجان يعومُ في الهواء، عزم (ساروخ) على التحليقِ نحوه عندما أبصره، فاكتشفَ بأنه لا يستطيع استخدام أيٍ من قدراته داخلَ الغرفة، ليضحى كائنًا طبيعيًا، وكأنه قد استحالَ إلى مخلوقٍ من طين..

ركض في أرجاءِ الغرفة محاولًا استخدام سحره، فلا سحر، هو محضُ كائنٍ ضعيف ليس له قيمة بداخلها، صرخ غاضبًا، حاول التخفّي، فيفشلُ في كل محاولة، ارتفع غضبه ليصرخ بقوته كلها، ثم سقطَ هائمًا على الأرض، وسقطت دمعةٌ من عينه، فلا تنزل نارًا كما توقع، بل سقطت كدمعةِ إنسانٍ

طبيعي، وضع إصبعهُ عليها فزعًا، لينقسمَ قلبه بداخله خوفًا وتحسرًا على ما آلت إليه حاله..

بضع دقائق مرَّت كانت كفيلةً بهدمه، تلفتَ حوله برعب، ليظهر أمامه إنسانٌ يُمسك في يده مصباحًا ويقف ببلاهةٍ محدقًا به، فتوسعت حدقتاهُ تعجبًا.

* * * *

توقفَ (إبراهيم) أمام الكائن، أزاحَ المصباح جانبًا، وحدق به دون خوفٍ هذه المرة، فما لاقاهُ بسبب (طارش) جعله لا يهابُ شيئًا، ولكنه وقف ببلاهةٍ لا يعلم ما الذي عليه فعله الآن، حدق (ساروخ) بعينيه بتعجبٍ ممزوج بالدهشة، ثم أخرجَ بصوته الغليظ بضع كلماتٍ تشبَّعت خوفًا واستغرابًا قائلًا:

- من أنتَ؟ وأين أنا؟!

فابتسمَ (إبراهيم) قبل أن يقول:

- ذلك ما كنتُ سأسألكَ إياه!

فظهرت معالمُ الغضب على (ساروخ)، تحركَ للأمام في ثباتٍ حتى توقف أمام (إبراهيم) الراسخِ مكانه دون خوف، ثم قال محذرًا:

- إن لم تُجب على أسئلتي، سأحرقُك!



ظل (إبراهيم) واقفًا ثابتًا مبتسمًا دونَ ارتياع، تعجبَ (ساروخ) من ذلك الإنسان ذو القلبِ المتحجر، وضع (إبراهيم) يديه خلفَ ظهره، ثم جالَ في الغرفةِ متفقدًا لها ولمعالمها، حتى توقف أسفل القلبِ المنير في الأعلى، أثناءَ تقاذفِ الكلمات من فمه:

- أنتَ لا تعرِف، وأنا لا أعرف، إذن لننتظر العظيمَ طارش وهو مَن سيخبرنا..

تزايد غضبُ (ساروخ) حتى اتسعت عيناه شررًا قائلًا:

- من هو طارش؟!

رمقه (إبراهيم) بنظرةٍ جانبية قبل أن يُجيب بنبرةٍ جادة:

- خادمُ بهطيش ابنِ غليوش حاكمِ سفريوس.

فتحفزت شحناتُ الغضب داخل (ساروخ) في محاولةٍ لرفع (إبراهيم) عن الأرض، في حين نظرَ إليه (إبراهيم) بتعجُّب، حيث لم ينجح في فعلته، فركض نحوه ودفعه بيديه دفعًا، ليتراجعَ (إبراهيم) بضع خطواتٍ للخلف وكأن إنسانًا ضعيفًا هو من دفعه، ارتسمت معالم الغضبِ على وجه (إبراهيم) وحدّق في عينيه بنظرةِ غلٍ وحقد، كاد أن يهجمَ



عليه إثرها لولا أن حدث انفجارٌ ضخم في منتصف الغرفة، ليدفعَ بالاثنين للخلف من أثر قوته ويحلقا حتى سقطا أرضًا متألمين من شدةِ القذفة..

حاولا استيعابَ ما يحدث، ليظهرَ أمامهم (طارش) أثناء خروجه من بوابةٍ زرقاء محلقًا في الهواء، ومن ثم ابتلعت البوابةُ نفسها، قبل أن يهبطَ (طارش) ببطءٍ أمامهم ويقف محدقًا فيهم، فابتسمَ (إبراهيم) بخبث، في حين فزعَ (ساروخ) ذعرًا ورعبًا.

* * * *

لملمَ (إبليس) شتات نفسه هو وعشيرته، وخرجَ من مثلث برمودا هاربًا من مأزقٍ أقحم فيه غصبًا، فقد قررَ أن يلوذ بالفرارِ دون عودة، بعد أن علم قدر قوةِ من يعبثُ معه، وحملَ على عاتقه حماية نسله بأكمله من الانقراض، فركضَ بجيشه في الصحراء دون وجهةٍ محددة، على أملِ أن يجدَ ملجأً يحميه من قوةٍ مجهولةٍ جبارة لا يعلم بعد كيفيةَ مجابهتها.

* * * *

تحاملَ (إبراهيم) على أقدامه ومعه (ساروخ)، ليرتسمَ مثلثٌ أضلاعه ثلاثة كائناتٍ ليست من نفس الفصيلة، بشرٌ وشيطانٌ وملموسُ المعرفة..



ساد الصمتُ قبل أن ينحني (إبراهيم) قائلًا:

– سيدي المبجل طارش، تحياتي لكَ وللحاكم بهطيش، أتمنى أن أكون عبداً مخلصاً.

ابتسمَ (طارش) في تحيةٍ لـ(إبراهيم) قبل أن يقول:

– تبقى لكَ اختباران، وبعدها تحصُل على مالٍ لا يعد، نفوذٌ وسلطة لم تكن لتحلمَ بهما، وسينتهي كل شيء، لتعيش عُمرًا مديداً دون خللٍ أو مضايقة.

تهللت الأساريرُ والزغاريد داخل قلب (إبراهيم)، وتشوّقت عيناه في محاولةٍ لمعرفة المطلوب، في حين تفوهَ (ساروخ) ببعض كلماتٍ موجهة إلى (طارش):

– أنت!

انتبهَ له (طارش) ليردف قائلًا:

– أتذكرُك جيداً، فمنذُ آلاف السنين حاول كائنٌ مثلك العيش معنا على كوكبنا، وانتهى به الحالُ في التسبب بدمارٍ ليس له آخِر، حتى رحلَ دون رجعة بعد أن علم ألا مكانَ له وسطنا، إذن لم العودةُ الآن؟!



تجاهله (طارش) مخاطبًا (إبراهيم):

- الاختبار الأول، اقتل ذلك الشيطان، دون رحمةٍ ولا خوف، هو مثلك دون قوة داخل هذه الغرفة، فلم يستطع استخدام حيله ضدك.

قالها ليرتسم سيفٌ من نار داخل يدِ (إبراهيم) اليمنى، فنظرَ إليه بعينين زائغتين قبل أن يرفعهما صوب الشيطان، ليصرخَ (ساروخ) قائلًا:

- أيها الغبي! لقد كذبَ عليك، ليس هناك مالٌ أو سلطة، فالنهايةُ موتك، ستموتُ أيها المغرور البغيض، ستلقى حتفكَ مثل من قمتَ بقتلهم من قبل، ولن تصلَ إلى تلك المكانة التي تحلم بها.

توسعت ابتسامةُ (إبراهيم) أثناء رسمه لخطواته صوبَ (ساروخ) وهو يقول:

- النهايةُ محسومة، حتى وإن كانت الموت! فلا يوجد ما يجعلنا نتمسكُ بالحياة، وإن كان الموتُ هو الطريق الوحيد لنهاية العذاب، فأنا أختارُ موتي بقلبٍ راضٍ..

أنهى كلماته وأتبعها بضربةٍ بكل قوتهِ صوب رأس (ساروخ)، لينشطرَ إلى نصفين وعيناه الجاحظتان



تظلان كما هما، ثم اشتمّ رائحة شواءٍ أثر شعلةِ النار التي شطرته، ابتسمَ بشرٍّ مهيب قبل أن يختفي السيفُ من بين يديه، لينظرَ إلى (طارش)، فيُقابله الأخير بابتسامةٍ قائلًا:

– أيها العبدُ المطيع! لا تلقِ بالًا لما قاله، فستنالُ ما وعدتك به، والآن عُد لتُكمل ما كنت تفعله.

ليُسحب جسده داخل دوامة، فيُفاجأ أنه بداخلِ المقبرة التي اقتحمها منذ قليل وفي يده مصباحًا ينيرُ له الطريق، خطَّ بقدميه طريقه صوب غرفةٍ جاء ليدلفَ إليها منذ البداية، دون خوف، فقط بابتسامةِ انتصارٍ خبيثة ترتسمُ على وجهه.

* * * *

تحركَ (طارش) صوب القلبِ المنير بعينين متهللتين، أمسكه بيده وألقى به صوب بابٍ أسود مرتسم على هيئة عينٍ مشقوقةٍ بالطول..

ثم حلق دون جناحين ليقتحم بوابةً أخرى فيخرج إلى قلبِ صحراءٍ واسعة، ويركض فيها بسرعةٍ مهولة في محاولةٍ منه للحاق بـ(إبليس) وأعوانه، وبعد أن علم وجهتَه، اختفى بغتةً ليعود إلى حيث يمكث (إبراهيم) كي يكمل مهمته الثانية.

* * * *

يقفُ (بـهطيش) مبتسمًا فوق (عين السولفا) بعد أن نجحَ خادمه المخلص في أولِ مهمة، وقد اقتربَ من تحقيقِ الثانية والثالثة معًا، وأثناء وقوفه على الصخرة فرحًا مطمئنًا، سقطت قطعةٌ خضراء من السماءِ صوبه ببطء، حدق بها قبل أن تلتف الصخرةً من أسفله، ثم أمسكها فاغرًا فاهه..

تأكدَ بأنها قلب (أبانوخ)، فتوسعت ابتسامته قبل أن يضغطَ عليها، لتتفتتَ وتتساقط من يده متوجهةً نحو القفلِ الذي يحتوي قدمه، فيتسعَ قليلًا ويحركَ قدمه داخله براحة، ويتبعها بضحكةٍ مهولة انتفضَ على إثرها الفراغ.

* * * *

مشى (إبراهيم) ببطءٍ صوب الغرفة، ممسكًا في يده المصباحَ المنير، وما إن دلف إليها حتى أسقط من يديه غصبًا لتغرقَ الغرفة في ظلامٍ مريب، ولكنه وقف ثابتًا في المنتصف منتظرًا الإشارة التالية..

بضعُ لحظات ركضت لتشتعلَ الأرضية بدماءٍ حمراء وتخطّ بضع كلمات مرشدةً إياه عن الخطوة التالية:

«في ركنِ الغرفة سكين وبجانبها جمجمةٌ بشرية»

التفتَ بعينيه نحوهما ليُبصرهما تشعانِ نوراً، وتبِعه صوتٌ كفحيح الثعبان يترددُ في أذنه قائلًا:

- قم بقطعِ إصبعك الأوسط من يدكَ اليمنى، ثم اقترب من تلك الجمجمة وأغرِقها بالدماء.

مشى نحوهما بخطواتٍ ثابتةٍ دون تردد أو ارتعاب، أمسكَ بالسكين وقام بقطعِ إصبعه، ثم أغرقَ الجمجمة بالدماء فتشربّتها بنهمٍ مريب، وبعدها احترقت وتبخرت..

عاد إلى حيثُ كان مرةً أخرى، وانتظر الإشارة التي تليها، ليسمع صوتًا آخر كفحيحِ الثعبان قائلًا:

- اجرح أذنكَ اليسرى.

قرَّب السكين من أذنه، وبدمٍ بارد ولا مبالاة وعدم شعور، قام بشقها إلى نصفين وهو راسخٌ مكانه والدماءُ تسيل منه أنهارًا، ينتظرُ الإشارة التالية..

ساد الصمت طويلًا وبدا (إبراهيم) وكأنه مخدَّر، بل منومٌ مغناطيسيًا، لا يتحرك ولا يطلبُ العفو، ابتسم (طارش) من قوة قلبٍ حلُم بها منذ أكثر



من مائةٍ وثمانية أعوام، فأصدرَ الأمر الأخير باقترابه من أذنه من الخلفِ قائلًا:

– اقطع شريان يدكَ اليمنى، ثم مدد جسدكَ في المنتصف وانتظر العلامة.

أخذَ ما يقارب النصف دقيقة ليستوعبَ الأمر الأخير.. الأخير في حياته كلها..

ضغطَ على السكين بأنامله بقوته كلها، وقرَّبها من شريان يده اليمنى، ووقفَ حائرًا..

حين تدفعُك كل الموجودات نحو الانتحار!

اللحظة الأخيرة..

لحظة أن تضعَ السكين على شريانك وتفكر في جزِّه..

ما الذي يحتل كيانكَ حينها؟!

الندم؟!

اللهثُ وراء الماضي؟!

أم تخيل ما سيحدث بعد رحيلك؟!



سكاكينٌ جمة تتخبط في عقلك..

تتقطع دواخلكَ في البحث عن سببٍ واحد من أجل البقاء..

فالفكرةُ قد سيطَرت على كيانك..

توغلت في غزو تامٍ لجوارحك..

ولكنَّ عقلكَ يأبى..

تبحثُ عن شيءٍ يدفعك للتمسكِ بحياتك..

فلا تجد سوى سوادٍ قاتم..

فتسقطُ دمعة من عينكَ على رحيلك الأغبر..

وتندب حظك على ما قاسَيته في حياةٍ بغيضة خطَّت معالمها على مشاعرٍ قلبك ونبضاته..

وبعد أن تسقطَ دماغك في معركةٍ خاسرة إثر مبارزةٍ أعلنت عنها أفكارك..

تُقبل على فعلتك بقلبٍ راضٍ..

لتُنهي هذه الحياة المقيتة بابتسامةٍ بلهاء..



وما إن تلامسكَ لحظات التردد لأجل مجهولٍ ربما يأتي مغيراً كل شيء..

تهتفُ الجدران من حولكَ داخل أذنك..

هيا افعلها..

قم بقتلِ نفسك..

لمَ الانتظار؟

ولأجل مَن تعافر الآن؟

لمن البقاء؟

لنفسِك؟! قد انتهت نفسُك..

لناسك؟! كلهم أسفلَ الأنقاض..

لأخيك ووالديك؟! جميعهم صعدت أرواحهم..

حان وقتُ الرحيل!

حان وقت لُقياهم!

ها قد حانت النهاية..



وما من نـهايةٍ أفضل من تلك..

لقد انتـهت حياتُك دون أن تـشعُر في لمح البـصر.

انتـهت بعد أن وافقت من ركع له الشيـطانَ تعظيمًا وإجلالًا على شروطه.

انتـهت منذ لحظة قتلكَ لأخيك.

انتـهت يوم أن وقفتَ أمام ذلك النور ولهثتَ نحوه في اعتقادك بأنه ماسةٌ ستحررك من الفقر.

* * * *

قبل عدة سنوات..

يومٌ شاقٌّ في العمل كاد أن يُنـهي عليه، تحامل بما تبقى له من قوةٍ وترجّل ليعود لأخيه في المنزل، يسيرُ بين الطرقات دون استقلاله أي سيارةٍ خوفًا على مالٍ ينفدُ سريعًا، خوفًا على أخٍ ينتظر منه الطعام والشراب، خوفًا من زمنٍ لن يتركه بخيرٍ أمدَ الدهر..

استقلَّ بعض الأزقةِ الجانبية حتى لا يتعثرَ في زحام الناس وغوغائهم، مشى في شارعٍ ضيق منطفئ، لا يحمل مصباحًا خافتًا حتى ينيرَ طريقه، مشى



دون خوف، فممن سيخافُ والزمن يحاصره بهجماته من كل الجهات؟!

سارَ متخبطًا من آلامٍ كادت أن تقضي عليه، عملٌ وجهدٌ متواصل يقبضُ على أنفاسه يوميًا، وما من معين..

كاد أن ينتهي طريقه، ليلحظَ نورًا خافتًا يدق في أحدِ الأركان، توقف أمامه، ولمعت عيناه في أملٍ بأن يكون ماسةً تُنهي على فقره، فركض لاهثًا صوبها، وأمسكها بين يديه، ليجد نفسهُ ممسكًا بكتابٍ مغلق بقفلٍ منير..

حاول فتحهُ دون جدوى، ركضَ به صوب المنزل، ودلف إلى غرفةِ والديه، جلس في منتصفها يحاولُ فتح الكتاب ففشل، جاهدَ بشتى الطرق، ولم ينجح..

أيام، أسابيع، وشهور، والكوابيسُ تخترق أحلامه يوميًا، فصار متعكرَ المزاج، يغضبُ سريعًا وينهر أخاه كلما طلبَ منه شيئًا، حتى جاءَ اليوم الموعود..

يومَ أن سمع صوتًا داخلَ الغرفة يتحدث، ركضَ نحوه بخوفٍ متفقدًا ما يحدث، ليُبصر الكتابَ



متوهجًا منيرًا، فاقتربَ منه ليجد كلماتٍ قد خُطّت عليه بالنورِ الأزرق:

«إن أردت فتحَ الكتاب، أحضر دماء قطةٍ وأغرقهُ بها»

اشمأزَّ من طلبهِ في البداية، ولكنه عزم على تنفيذِ الأمر وقد بلغَ منه الفضول أقصاه، وبالفعل قام بذبح قطةٍ فوق الكتاب ليُفتح عن آخره ويبدأ في القراءة:

«أُدعى طارش، خادمَ الملكِ بهطيش ملك العوالم الأربعة، أريدُ أن أساعدك، وفي المقابل ستساعدني، كل ما تحلم به سيُحقق، ولكن اعلم، لا شيء بدونِ مقابل»

انتهت الكلمات، قلّب في الكتاب ليشاهد الفراغ، ورقٌ أحمر اللون دونَ كلمات، نحاه جانبًا بعد أن سبَّهُ ولعنه، تقاذفتِ الأيام متتالية حتى أُنير الكتاب مرةً أخرى، وبدأت سلسلةُ طلباتٍ ليس لها قيمة، يُنفذها (إبراهيم) دون وعي، حتى سيطرَ على عقله بالكامل، وبعدها طلبَ منه ما هو مستحيل، قتلَ أخيه..

لينتفضَ (إبراهيم) خوفًا مما هو مقدمٌ عليه، فقرر ترك الكتاب جانبًا وعدم المضي في ذلك الطريقِ المجهول، لتضحى حياته جحيماً، فتارةً يحلم بقتلِ



نفسه، وتارةً يشاهد كائناتٍ عجيبة في حمام شقته، وتارةً أخرى تظهرُ له في مكان عمله..

حتى غضبَ من العمل وتركه، لتتحولَ أيامه إلى جحيمٍ أكبر، ثم حدثَ ما هو أسوأ! انتهت أمواله، وضاعت حياته واستحالت إلى جحيم، وفقدَ كل ما يملك..

خوف، رعب، ذلّ ومهانة..

يقتحمونَ غرفته يوميًا ليتحدثوا أمامه، ومع الوقتِ أصبح الخوفُ أنيسه، حتى بعد أن عادَ إلى عمله إثرَ بذله لمحاولاتٍ شتى، ولكنه أبدًا لم يعُد كما كان، امتنعَ عن دخول الشقة لبضعةِ أسابيع، وفي النهاية تمكنَ منه (طارش) حتى قتل أخاهُ بالفعل، ليُعاد السيناريو من جديد، سيناريو قتلَ (قابيل) لأخيه (هابيل)، وبعد أن أتمَّ فعلته، ولجَ في دوامةٍ من الجحيم لن تنتهي إلا بموته.

****

– كيف أحضر قلبَ الإنسي؟

قالها (طارش) لـ(بهطيش)، فانسلّت الكلماتُ من فمه منمقة:



– الإنسانُ منذ بداية الخليقة وهو يسعى لعصيانِ الخالق، يلهثُ خلف المعاصي، وأهمّ تلك المعاصي هو تحضيرُ الجن ليُحقق له ما يريد، أوهمهُ بأنك جني، ستحققُ أحلامه، ستنشله من عذاباتِ الدنيا، وسيفعلُ لك ما تشاء..

صمتَ قليلًا أثناء عبثه بقفلِ قدمه ثم استأنف:

– وبعد أن تتمكنَ منه حوله، اجعله شيئًا وليس إنسيّا، فليفقد كل عزيزٍ وغال، فليفقد نفسه، حتى يبحثَ عنها في كل شيء، ولا يجدها، مهمتكَ هي القسوة، وما أسهل القسوة في قلوبِ بني البشر! الأمرُ ليس صعبًا كما تظن، أنتَ فقط ستحتاج وقتًا، لتعثر على قابيلَ الآخر..

تذبذبَ صوت (طارش) قائلًا:

– لم أفهم!

فتوقفَ (بهطيش) مكانه فوق الصخرةِ ليعلو صوته:

– ابحث عمن سيوافقُ على قتل أخيه في مقابلِ الحصول على ما يريد، ولا تُضع وقتك، فقابيلُ ترك خلفه الكثيرَ منه، ولكن لا تعطِه فرصةً التفكير، فيسألَ نفسه لمَ قتلت؟ اجعلهُ دائمًا مقتنعًا بما

تُمليه عليه، وبعد أن تتأكدَ من وفائه، اجعله يقتل نفسه حتى تختِم ختمَ الصلابة على قلبه، وبعدها اقتلع قلبهُ واحضره لي.

****

وعلى مرِّ مائةٍ وثمانية أعوام بعمر الإنسان، قام باصطيادِ أكثر من ألف شخصٍ في محاولاتٍ فاشلة، حتى عثر على (إبراهيم) الذي يُحقق ما يريده دون تردد..

ذلكَ الغبي الذي ضحى بكل شيء، مقابل لا شيء!

وفي الجهةِ الأخرى يجاهدُ (طلمش) في البحث عن الجان والشياطين، ولكن ماذا تساوي مائة وثمانية أعوام في عُمر كائنات (سفريوس)؟! فما هي إلا بضعةُ أيام مرت ليتزامنَ كل شيءٍ مع بعضه البعض.

****

وقفَ ثابتًا في وسط المقبرة، حياته تركضُ أمام عينيه ليسيلَ دمعه، هُنا أخوه أثناءَ خروج روحه، وهنا عمه وخاله وخالته، وهنا والداه اللذان تركاه صغيرًا ليحمل همًا فوق عاتقه، وهنا نفسهُ تبكي عليه..



وها هو هنا يقفُ متمنيًا الخلاص، الموتَ دون البقاء..

ماذا أراد؟

حياةً يملؤها الحبُّ والأمان؟

السكينةُ والاطمئنان؟

حياةً خالية من أي شر!

ولكنه جلب الشر وبغضَ الخير، حتى أضحى هو الشرَّ متجسداً..

انهارت عيناه، وارتعشت يداه، وبعد أن خارت قواه، قرَّب السكين من عروقه ثم هوى ضاغطًا بكل قوته، وجزَّها لتنفجرَ الدماء في المقبرة..

لم يشعر بآلامه وكأنه قد خُدِّر، مشى مقتربًا من منتصفِ المقبرة ونام هائمًا منتظرًا العلامة..

علامةُ الموت.

****

توقفَ (طارش) مبتسمًا أمام (إبراهيم) الذي تخرجُ روحه ببطءٍ من بين ثناياه، حيثُ ظلت عيناه مصوبةً



نحوه حتى حلقت روحهُ إلى الرفيق الأعلى، ناظرةً له بعينين جاحظتين متوجهتين صوب نارِ جهنم في رعبٍ وفزع أثناءَ ابتسامته الخبيثة لها.. لتندم بعد النهاية، وما الفائدةُ من الندم؟!

وبعد أن خمدت الجثة، دقق بها (طارش) متأملًا في منظرها الغارقِ بالدماء، وعينيها المسلطتينِ بفزع نحو سقفِ المقبرة..

ضحكَ بكل قوته، ضحك كما لم يضحك من قبل، ثم غرزَ مخالبه بداخل جسد (إبراهيم) ليُخرج قطعة لحمٍ حمراءَ ساخنة، كانت تنبضُ منذ قليل، ثم قذفها في الهواءِ لتعبُر من بوابةٍ سوداء مرتسمةٍ على هيئة عين، واختفى بعدها ليُكمل مهمته في اللحاقِ بـ(إبليس) سيد الجحيم.

* * * *

التقطَ (بهطيش) قلب (إبراهيم) ضاحكًا من كل كيانه، ثم قام بفركهِ على قفل قدمه، ليرخى أكثر ويستريح أكثر..

ثم جلسَ مكانه شاعرًا براحةٍ تامة، وبعد لحظات ارتسمَ العبوس على وجهه أثناءً تفكيره بقلبِ (إبليس).




بهطيش العقد السفلي – (٦)

* * * *



(٧)

الرحمةَ الرحمةَ وإليكَ الرجا

إبليسُ انحنى مَرجُوَّ الخُطى

في طريقِ العُلا وسموِّ الصفا

أعطاكَ القلبَ فأعطِه الحِمى

حطَّ (إبليس) في قاع بحرٍ مالح هو وعشيرته، ثم اخترقَ الأرض ليبني مستعمرتهُ في الأسفل، في جوفِ الجحيم، ظل يهبطُ حتى وصل إلى نارٍ مشتعلةٍ في مركز الأرض، فمن خلالِ المياه المالحة سيصعُبَ على كائنات (سفريوس) الوصولَ إليه، لذلك اختارَ موقعه بعناية، وبنَى مستعمرته وعيَّن حراساً على بحره الواسع، وفي أعلى سمائه وفي جوفِ أعماقه، وبدأ حياته وحده دون خوفٍ أو مهابة..

ظل ما يقاربِ الثلاثَ سنوات دون حدوثِ أي هجمات، حاول التأقلمَ مع حياته الجديدة، ولكنه حُرم من الخروج، فلم يغادر مملكته للحظةٍ واحدة، وكان كلما خرج شيطانٌ ليمارسَ مهامه في أعمالِ البغي والرذيلة لا يعود، فقد كان (طارش) يقومُ باصطياده دون رحمة، فيحدُث أن يموت بين يديه أثناءَ استجوابه، حتى أتى يوم الخوف، وسمي هكذا لأن



الخوف قد انتشرَ حينها داخل المملكةِ حتى صرخت رعبًا، وتُسمع صرخاتهم في بقاعِ الأرض قاطبة.

****

تبخر أثرُ (إبليس) كالسراب، فظل (طارش) يحاول العثورَ عليه دون أمل، وكأن الحياة تبدلت إلى وجهها الأسودَ فجأة، حتى فقدَ الأمل في العثور عليه..

تربص له في كل مكانٍ على وجهِ الأرض دون أن يقابله، فيحدُث أن يُبصر شيطانًا يحاول التعايشَ كما كان، فيقومُ باختطافه وتعذيبه محاولًا انتزاعَ أي معلومةٍ منه تخُص (إبليس) ولكن دون جدوى، حتى استطاع الإمساك بشيطانٍ يدعى (زعزوع)، قام باصطياده أثناء محاولةِ إنسي تحضيره، الذي كاد أن ينجحَ لولا أن أمسك به (طارش)..

أدخله الغرفةَ البيضاء وقام بتعذيبه حتى اعترفَ له عن مكانِ (إبليس)، وحينها قتله بلا رأفة، ثم قرر الهجومَ على (إبليس) ونزع قلبه، إلا أنه استاءَ من فشله..

كيف سيقتحم مملكةً بُنيت أسفل البحار المالحة؟!

فكرَ مليًا حتى جاءته الفكرة، سيقتحمُ المملكة، ولكن ليسَ من خلال المياه، بل من خلال ما يتصلُ بها من اليابسة، سينفذُ من الأرض إلى أن يبلغَ أعماقها، ويسيرَ بداخلها حتى يصل إلى مكانِ (إبليس)، فمكانه مُقحَمٌ داخلَ جحيمِ الأرض وليس جحيمَ المياه، حتى وإن فكرَ في الهرب، فسيترك حتمًا أثرًا خلفه لإيجاده..

جمعَ شتات قوته، وتوقف أمام بحرٍ من المياه المالحة، وبالتحديد الذي اختاره (إبليس) ليختبئ أسفله، نظر إلى المياه بوجهٍ غاضب، ثم اخترق الجزء اليابسَ من الأرض وظلَ يغوصُ فيها حتى استشعر قوةَ مملكة (إبليس) قد استوت معه، فتوقف وتقدمَ باختراقه نحوها، وفي لمحةٍ من الزمن كان قد اصطدم بأول خط دفاعٍ من حراس المملكة ليقطعَ رؤوسهم بسيفه ناحرًا إياهم في غمضة عين.

****

انتفضَ (إبليس) عقبَ صوت الانفجار الذي حدثَ في مملكته، وصرخات بني جنسه تقطعُ آذانه، أمسك بصولجانه ذي الثلاثةِ أسنة، ثم استعان بغضبه لتشتعلَ عيناه في قوةٍ مهولة، وقد قرر مجابهةَ مخاوفه..



هو من تعظّم في كل شيء..

هو من اعترضَ على قوانين الكون..

اعترض على الحكمة!

اعترض على السجود!

كيف يخافُ وهو الذي يهابهُ الجميع؟!

هو الحاكم..

هو الحالم بمُلكِ الكون..

هو (إبليس) ذو البأسِ والجبروت..

من القادرُ على ردعه؟

من الذي يمتلكُ نتفةً من قوته؟!

بل هو أقوى الكائنات، وسيظلُ أقوى الكائنات.

****

اخترقَ (طارش) جيشَ الشياطين بسيفه فانشق إلى نصفين، وظل يُقطّع فيهم إربًا دون رحمة،



يحاولون رَدعه فيبوءوا بفشلٍ ذريع، لم يُخدش خدشًا واحدًا، فهو يمتلكُ أضعاف قوةِ (طلمش)..

هُم من أغضبوا الوحش ليفيقَ من سباته، أرسل لهم عصفورةً ليُبقي لهم بضعًا من قوة فعاملوه بأشدِّ قسوة، إذن فليلاقوا غضبًا يتضاعفُ مع حجم الكون، وليواجهوا موتهم بعناءٍ مرير..

لم يستنفدوا من أنفاسهِ الكثير، فهم بمثابة حفنةٍ من ذباب تحلقُ هرعًا وخوفًا من يد بشريٍ تهُشها، وها هو الآن، لم تعد يداه مصدرَ تحذيرٍ لهم، بل هي أداةٌ ينسفُهم بها نسفًا، فينفجروا واحداً تلو الآخر دون إنذار..

سيَّجهم بقوته مهاجمًا هنا وهناك، حتى توقفَ في المنتصف، ليلتفوا حوله كالبعوض، فثبتَ مكانه شاهرًا سيفه في وجوههم، وحين طوقوه من جميعِ الاتجاهات، أغمضَ عينه لحظة..

لينشطرَ إلى نصفينِ متقابلين، وقد انشطرَ سيفه معه لتحملَ كل يدٍ نصف سيف، ثم هجمَ عليهم من الناحيتين مبيدًا إياهم بشراسة، ليصرخوا مستنجدين، فلا ينتشلهم أحدٌ من موتهم.

* * * *

ركضَ (إبليس) بكل عنفوانه بين الممرات، يسمعُ صرخاتهم تصمُّ آذانه، الخوفُ يتربع على قلبه، والشجاعةُ تنهش خارجه، فبدا مشتتًا لا يعلم ما سيفعله، فكر مليًا في طريقةٍ للحاقِ بما تبقى من الرمقِ الأخير لجيشه، مستاءً من نهايةٍ سوداوية على وشكِ الحدوث..

ظل لآلافِ السنين يجمعُهم، يتكاثرونَ فيُدربهم، يمتلكُ أقوى وأعتى جيشٍ على وجه الأرض وها هو يفنى أمامه الآن، دون أن يحركَ ساكنًا، فقد عجزَ حتى عن مساعدتهم..

اجتازَ كل الممرات حتى وصل لمركزِ المعركة، ساحةٌ واسعةٌ ضخمةٌ مغلقة إلا من فتحة تصلُ بينها وبين الممرات، وقف فيها فاغرًا فاهه أثناء رؤيته لأبنائه يصرخون من هول ألمٍ لم يشهد مثله في حياته.

* * * *

نصفانِ منفصلان انبثقا من جسدٍ واحد، يُقاتلان شياطين الكونِ دون تراجع، ينهشون جيشًا عجزت عن الوقوفِ أمامه الكثيرُ من الكائنات، آلافٌ من السنين يظلمون ويوسوسون ويرتكبون المعاصي، يقتلون ويحرقون ويُبيدون دون خوف، حان وقتُ تعذيبهم، وتقلُّبهم في الجحيم، ليساعدوا نارها على أن تشُبَّ وتعلو..

تساقطوا مضجرينَ في جراحهم، تقلصوا إلى النصف، فاقتربَ نصفي (طارش) ليتحدا سوياً، ويستحيلَ واحداً مرةً أخرى يقاتل بشراسةٍ لا تملُّ ولا تهمَد..

وأثناء تمزيقهِ لهم، رمقَ بنصف عينه (إبليس) واقفًا فاغراً فاهه ناظراً إليه، فحلق ليهاجمهُ بسيفه فصدَّه (إبليس) بصولجانِه، ليتراجعَ (طارش) إلى الخلف في ألم..

تراجعت الشياطينُ جميعًا في خوف ليتقدم (إبليس) إلى المقدمة، فوقف (طارش) مستعداً، وابتسمَ (إبليس) قبل أن يبسطَ صولجانه أمامه ليتحول إلى ثعبانٍ قد تجاوزَ طوله مئاتِ الأمتار، ليمتدَّ في المكان بأكمله فيختنقَ الجميع، تراجعَ (طارش) ليستمدَّ مساحةً من خلفه، فهاجمهُ الثعبان بلسانٍ من نار، ليُصاب (طارش) في وجههِ بخدشٍ على إثره حلقَ بأقصى قوته في الهواء، ليضحى جسدهُ ماثلًا أمامَ الثعبان فتتساوى الرؤوس.

****

وقفَ (بهطيش) فوق الصخرة مغمضَ العينين، وإحساسه كله قد حلَّ في مكانٍ آخر، في معركةٍ تُقام على بعد مليارات الأميال منه، ولكنه

يشاهدها كما لو كانت تحدُث أمامه، مستمتعاً بكل ما يدور، ويفتخرُ بخادمه المبجل (طارش) أثناء تصدِّيه لجيشٍ كامل من الشياطين وحده وفي المقابل لم يتزعزع..

حتى ظهرَ (إبليس) مبتسماً بخبثٍ بعد أن اقترب من مبتغاه، ليُحضر ذلك الثعبان الضخم، فخفقت دواخله بخوفٍ على خادمه وقلبٍ اشتهى احتواءهُ بين أنامله فيتبخر.

* * * *

وهنا تحدثُ المعجزات، تلوى الثعبانُ لهجماتٍ ضخمة من (طارش)، وما زال صامداً دون خوفٍ أو تراجع، يحاربهُ بكل ما أوتي من قوة، ويتبادل الخبطاتِ مع لسانه وذيله بصعوبةٍ بالغة، بضع هجماتٍ من هنا وهناك، تتفجرُ معها الأعين مشاهدةً لما يحدُث في ذهول..

حتى استجمعَ (طارش) كل قوته وهوى بسيفه على لسانه لينشقَّ من المنتصف ويصرخَ الثعبان متألماً، تراجعَ الأخير للخلف بضعة أمتارٍ قبل أن يهجم بقوةٍ صوب (طارش) ويبتلعه بغتةً ويعمُّ الصمت في الأرجاء.

* * * *



تلفتت الشياطينُ حول أنفسها غير مصدقةٍ لما حدث، ضحكَ (إبليس) زهوًّا بقوته بعد أن انتهى من ذلكَ البغيض، هللَ الجميع، وثبتَ الثعبان منتظرًا إشارةً من سيده..

انتهى كل شيء..

المعاناة..

القسوة..

الموت..

المعركةُ التي كادت أن تُنهي على شياطينِ الكون أجمع..

ولكن، هل هو الكائنُ الأخير؟

ألا يوجد غيره؟

ألا يوجد من يريدُ مساعدة سيده (بهطيش)؟

وكيف سيتحررُ (بهطيش) الآن؟!

مشى (إبليس) بخطى وئيدةٍ نحو ثعبانه، أمسك بذيله وكاد أن يُحوله إلى عصاه مرةً أخرى، فيصرُخ الثعبان بألمٍ مهول، ليتراجعَ (إبليس) إلى الخلف



متوترًا مبصرًا حركةً تتموجُ في معدته، تلوى الثعبانُ وسقط أرضًا، ليَخرج سيفٌ مشتعلٌ من دواخله ويلتفَ حول نفسه فينقسمَ الثعبان إلى نصفين ويخرُج (طارش) من الداخل فيقترب من رأسه وينحره بسيفه..

ثم التفتَ نحو (إبليس)، ليُقابله الأخير ثابتًا دون ارتجاف، كاد أن يصدمه بسيفه لولا أنه هوجم من الخلفِ بقوةٍ مهولة فيصطدمَ بالحائط متألمًا، وإذ فجأةً تلفت ليجد ثورًا يركض بسرعةٍ رهيبةٍ نحوه وعيناه تطقانِ شررًا..

وقفَ مكانه وأشهرَ سيفه، ثم حلقَ في مواجهة الثور، ازدادت السرعةُ من الجهتين ليصطدما ببعضهما البعض في لمح البصر ويحدُث انفجارٌ حلّقت على إثره معظم الشياطين بينما ظل (إبليس) ثابتًا، تبخرَ الثور وركض (طارش) صوبَ (إبليس) وقابله بضربةٍ مدويةٍ من سيفه ليسقط أرضًا محاولًا استيعاب الأمر..

تقدم (طارش) نحوه بخطى وئيدةٍ أثناء تحدثه بكلماتٍ منمقةٍ تحمل في طياتها الهول:

– أعلمُ بأنك خالد، مُنظَر لا تموت، ولكنني أستطيع حبسكَ بداخل زجاجةٍ صغيرةٍ طوال عمركَ دون خروج، أستطيع أن أجعلكَ تعاني حتى يوم البعث،



ستصرخُ وتستغيثُ دون أن يسمعك أحد، ستظل دون فائدةٍ حتى تُحرق في الجحيم.. أما أنا فلا أريدُ ذلك، كل ما أريده قلبُك، والذي لن يكلفك شيئًا، ولكنهُ في غاية الأهميةِ بالنسبة لي.

توقف (إبليس) على قدميه، حدقَ بعين (طارش) قبل أن يقول غاضبًا:

– لمَ تجمع كل تلك القلوبِ أيها الكائن البغيضُ المطموس؟

ضربه (طارش) بسيفه ليسقطَ صارخًا من شدة الألمِ قبل أن ينطق:

– لا شأن لكَ بذلك، إما القلب أو موتُ كل شياطينك، وحبسكَ مدى الحياة، وسأخلع قلبكَ مهما كان اختيارك، أنتَ خاسرٌ لا محالة، فاستسلم بكاملِ إرادتك قبل أن تخضع غصبًا!

فصرخَ (إبليس) في وجههِ بعد أن تحامل على قدميه مرةً أخرى قائلًا:

– لن تحصُل على مبتغاك.

ليُحلق (طارش) في الهواء ويقذفَ بسيفه على الأرض، وينفجر مشكلًا بوابة تسحبُ كل ما في

الغرفةِ من شياطين، انفجارٌ يدوي وصرخاتٌ تعلو، وتبتلعهُم الدوامةُ واحداً تلو الآخر، حتى قضت على نصفِ الجيش الصغير المتبقي، ليصرخَ (إبليس) قائلًا:

– سأعطيك ما تريد، فقط اترُك أبنائي وشأنهم.

فهبطَ فوق سيفه لتختفي الدوامة ويعودَ السيف ليدِه، التقطَت الشياطين المتبقية أنفاسها، وقف أمام (إبليس) محدقًا في عينيه، وبسطَ يديه أمامه وانتظر بملل، اشتعلت عينا (إبليس) في حزنٍ قبل أن يغرز مخالبه داخل صدره، ويُخرج قطعة من نارٍ متحجرةً تشتعل جحيماً، ثم مدها لـ(طارش) الذي التقطها منه وقذفها بعيداً في لمح البصر، لتبتلعها دوامةٌ سوداء قد تشكَّلت على هيئةِ عين، وفي نفس اللحظة حلق هو الآخر بجانبها ليدلف إلى دوامةٍ أخرى ارتسمت في الهواء بجانب العين فابتلعته، تاركًا الذهول مرتسماً على أوجه الجميع..

وبعدها صرخ (إبليس) بقوةٍ وصلت عنانَ السماء، فسمعتها جميع الكائنات، ليضحكَ من فرح ويبكي من حزن.

* * * *

ضحكَ (بهطيش) بفرحةٍ لم يمتلكها من قبل أثناء نظره لقلبِ (إبليس) الساقط عليه، مدّ يديه بتلهفٍ وبعينين جاحظتين مبتسمتين، وما إن وصلَ إليه حتى ضغط عليه بيديه بكل ما أوتي من قوة، ثم قامَ بتوزيع رماده على قفله ليُصدر القفل صوت كسرٍ ويُفتح..

حلقَ (بهطيش) في الفراغ ضاحكًا فرحًا بنَهم، وكأنه امتلكَ الدنيا جمعاء..

ظل ما يقارب الخمس دقائق يتمتعُ بعبير الحرية، قبل أن يخترق دوامةً في منتصفِ السماء ليهبط أمام (طارش)، فينحني الأخير له..

جلسَ (بهطيش) على الهواءِ في فخرٍ قبل أن يُشير لـ(طارش) بالنهوض قائلًا:

– ستكونُ خليفتي.

ليبتسمَ (طارش) بارتياح وزهو، سادَ الصمت أثناء التفافِ (بهطيش) حول نفسه كالنحلةَ البلاستيكية يُفكر في أمرٍ هام، ثم توقف محدقًا في عينِ (طارش) قائلًا:

– الانتقامُ أسمى ما في الوجود، ولذلك حُكم على غليوش بالإعدام من قبل الحاكمِ بهطيش

المستقبلي لمملكة سفريوس، ووجبَ علينا تنفيذُ الحكم، الآن!

* * * *



(٨)

قلائل هُم من يفكرون في الغير، بل كادوا ينعدمون..

دلفَ (بهطيش) ومعه (طارش) إلى مملكة (سفريوس) خلسةً دون أن يلاحظهُما أحد، تخفيا في ثيابِ العامة، فغاصا بين الطرقات وأهل المملكة بيُسر، وقد كان الهياج يسيطرُ على أرجائها، فالحاكم يسيرُ الآن، وعلى وشكِ اختيار البعض من بين الأزقة لينضموا إلى جيشه، إنها جولةٌ يفعلها سنويًا، يترجلُ من قصره لينتقي عدداً لا بأس به من الأقوياء كي يكونوا إضافةً قوية لأعظم جيشٍ في العالم..

ويتم ذلك من خلال استشعارهِ بمن تكمنُ بهم القوة، فتلكَ هبةٌ يمنحه إياها الصولجان، يقفُ أمامهم فتخرج هالةٌ منه متوجهةً صوب من وقعَ عليهم الاختيار، وقد كانت خطة (بهطيش) هي التسللُ بين حراس الملك والعودة معه إلى القصر، وحينها يسرقُ صولجانه الملكي، فمن يمتلكُ الصولجان يحكمُ المملكة على الفور، فيخضعون ويُطأطئون رؤوسهم انحناءً له..



يسيرُ (غليوش) على دابةٍ عجيبة الملامح، ذئب ضخم متفجر الحجمِ والعضلات، يتجاوزُ حجمه خمسين بشريّا مجتمعين، في حين أن كائن (سفريوس) يتساوى حجمه مع حجمِ خمسةَ عشر آدميًا..

يغلفُ الملك حراسةً تتعدى المائة جندي من الجيش، منهم خمسونَ يحملون على ظهورهم قفصًا ضخمًا محاطًا بنارٍ زرقاء وداخله كائنٌ من أهل المملكة يجلسُ سعيدًا، فقد تم اختيارهُ ليضحى من جيشِ الحاكم، انتُشل من الضياعِ والفقدان، فأصبح ذا قيمةٍ الآن، ولديه هدفٌ يعيش له..

يتوقفُ موكب (غليوش) كل برهة لاستشعاره بوجودِ كائنٍ سحيق القوة، إما أنَ يصدُق ظنه فيلتقطه أو يخلفه فيكمل سيره..

تدقُّ الطبول في كل مكان، وبالأخصّ في ذلك اليوم، فهو يومُ الاحتفال العظيم، تتراقصُ فيه (سفريوس) فرحةً وكأنها عروس تُزف لعشيقها، وتُرش الحمم البركانية كنوعٍ من أنواع الزينة، وتتهاتفُ الكائنات باسمِ ملكهم العظيم (غليوش)..

يسيرُ الحاكم بموكبه رافعَ الرأس في شموخٍ مهيب، ليتوقفَ في ميدانٍ يحمل اسمه، في



منتصفه تمثالٌ له يمثله حاملًا صولجانه، ترجّل من دابته لتنحني راكعة، مشى وحوله حراسته وقد انتشر أهلُ المملكة في الميدان كأسرابِ النمل من قصورهم، فابتسمَ لهم في شموخٍ قبل أن يقول:

– شعبي العظيم، دائمًا ما ننتظرُ هذا اليوم البهيّ، ليحظى سعيدُكم باختياره، وينتظر تعيسكم الاحتفالَ الذي يليه.. أريد أن أخبركم بشيءٍ هام، أنا بدونكم لا شيء، وسأظلّ لا شيء، فوجودكم هو من يجعلُ لسفريوس شأنًا عظيمًا، تميزكم عن سائرِ الكائنات لا يجب أن يحملَ في طياته الغرورَ وعدم الاحترام، فقد خُلقنا درجات، نُكمل بعضنا البعض في حلقةٍ كونية، ومن يتمردُ على القانون يُنفى دون هوادة.. يا شعبي العظيم، أنا أحيي رصانتكم وعقلكم المتوازن، دعونا نعيشُ حياةً مطمئنة بعيدة عن أعباءٍ لا نتحملُ غضبها، فنحن نشكل مربعًا، إن سقطَ ضلع، هُدم بأكمله.

هللت الكائنات فرحًا وتحيةً وإجلالًا لملكٍ يعلم كيفية تسييرِ الأمور، وقف (غليوش) شامخًا رافعًا رأسه قبل أن ترتسم هالةٌ على جسده وتحلق صوب قوةٍ مهولةٍ لم يشعر بمثلها من قبل خارجَ قصره.

* * * *



يسيرُ (بهطيش) خلف والده متخفيًا في ثيابِ العامة من أهل (سفريوس)، يحاولُ التملص ليدلف معه إلى القصر، فكر كثيرًا في اختطاف أحد الحراس وارتداء ملابسه، ولكنه خاف اكتشافه، فمشى دون خطةٍ في نهاية الصفوف حتى لا يشعر به أحد..

حتى توقفَ (غليوش) في الميدان وألقى خطبةً عن الشهامة والنبل كانت ثقيلةً على مسامعه، غاص وسط الجمهورِ في الساحة ينتظرُ أي إشارةٍ على إثرها يستطيعُ التوغل داخل القصر، حتى خرجت من جسدِ (غليوش) هالةٌ ترمي إلى اختيار أحد الأبطال، ليلتفتَ (غليوش) جاحظ العين، قبل أن تسقطَ الهالة على (طارش) الذي وقف ببلاهةٍ غير طبيعية، وحين ارتفعَ في الهواء غطى وجههُ سريعًا خوفًا من كشفه، ثم حلقت به الهالةُ دافعةً إياه إلى القفص الناري، فانفتح لها لتلقيهِ بالداخل ويغلق من جديد، ليهلل الناس بقوةٍ رجّت أنحاء المملكة، اقتربَ (غليوش) من (طارش) ليتفقدَ قوته التي طال انتظارُه لمثلها، قبل أن تنبسطَ هالةٌ أخرى أكثر قوةٍ من جسده، فحلقت والتلفتَ معها بعينٍ تتسابق في اللحاق بها، لتسقطَ فتحتوي جسدِ (بهطيش) قبل أن يُخفي وجهه بثيابه وتحلقَ به بقوتها لتلقيهِ داخل القفص، فتدقُّ

الطبول وتهلل الكائنات وترشّ الحمم البركانية في المملكة احتفالًا بأعظم يومٍ في تاريخها..

وحيث كان من الطبيعي في ذلكَ اليوم أن يتم اختيارُ أكثر من عشرين كائنًا، ولكن (غليوش) اكتفى بالثلاثة الذين يمكثونَ داخل القفص، بعد أن شعرَ بتلك القوة المهولة تُبث من الاثنين الأخيرين.

****

سُلم (بهطيش) لقائدِ الترفيه الملكي، وهُنا يتم اختيار أقوى المحاربين ليتبارزوا داخل حلبةٍ ضخمة أمام الملوكِ والأمراء والقضاة للتسلية، والبقاء هُنا للأقوى، فمن يحافظُ على حياته هو مَن سيعيش، ومن يموتُ فلا عزاء له..

ولكل حاكمٍ سقطة، فبالرغم من نبلِ (غليوش) إلا أنه يستمتعُ بكل قطرة دماء تتشربها الحممُ أمامه، فالمعركة تقامُ على بركانٍ من الجحيم..

والمعركةُ الآتية يتم فيها اختيارُ الأقوى من بين أربعةِ محاربين، تم اختيارُ اثنين منهم في الاحتفال، وقد أُقحموا في تلك المبارزة لشعور الحاكم بقوةٍ تكمن بداخلهم ليس لها مثيلًا..

قواعدُ المبارزة من وضعها (بهطيش) سابقًا ليرفه عن نفسهِ وعن السادة من مملكته، ولذلكَ يحفظُها عن ظهر قلب..

فجهّز نفسه جيداً، ارتدى ملابسَ سوداء قاتمة، ودفن بداخلها من رأسه حتى أخمصِ قدميه، لتظهر عينه الواحدة فقط كي تكشفَ عما يحدُث، وقف في ممرٍ ضيق ممسكًا في يده سيفين يشتعلان بنارٍ زرقاء، وقف مستعداً، وما إن سمع صوتَ والده من الأعلى آمرًا بدخولهم، حتى تحرك بخطى وئيدةٍ ومعه ثلاثةٌ آخرون يدخلون من أبوابٍ متفرقة ليتوقفوا في المنتصف..

ساحةٌ واسعة من الحمم البركانية، حمراء تشتعلُ نارًا، على أطرافها أسوار شفافةٌ من مادةٍ زرقاء لزجة، ينتهي آخرها بشرفةٍ تحملُ ثلاثةَ مقاعد اجتمعت على نفس الهيئةِ عدا المقعد الذي يتوسطُهم، فهو مقعدٌ ضخم شامخ الارتفاع، يجلسُ عليه الحاكم (غليوش) ممسكًا بصولجانه ضاغطًا عليه بقوة ليستمدَّ منه الأمان، وعلى يمينه زوجتُه والدة (بهطيش)، وعلى يساره ابنته الوحيدة (عائنة)، والجمهور يحتشدُ الساحة بالآلاف..

تلفّت (بهطيش) مستكشفًا مَن بجواره من المتبارزين، ليبصر (طارش) واقفًا شاهرًا سيفين حمراوين، مرتديًا سروالًا أبيضًا ووشاحًا يغطي

رأسه، والقلقُ بادٍ على عينه، وبجانبه كائنٌ ذو هيئةٍ شيطانية فعلمَ بأنه لا ينتمي لعالمه، وغالبًا قد خُطف من عالمِ (إبليس)، ذو قرنين حمراوين وعينين سوداوين مشقوقتين بالعرض، دون أنفٍ ولا آذان، يمتلك فمًا مشقوقًا بالطول في شكلٍ مرعب تقشعرُّ له الأبدان، وذو جسدٍ ضخمٍ مهولِ الحجم، يُمسك في يده سلسلةً حديدية مشتعلة نهايتها، يرتدي ثيابًا حمراء مقطعةً من جميع الاتجاهات..

والأخيرُ يعلمه جيداً، إنه (دنهش) ملكِ ملوك الحروب، حاربَ منذ طفولته من أجلِ (سفريوس)، يخوضُ المعارك داخلِ الحلبة دون خسارة، فاز أكثرَ من ثلاث مائة جولةٍ دون أن يسقط مرةً واحدة، يشبهُ (بهطيش) كثيراً، إلا أنه يمتلكُ عدداً لا بأس به من الندباتِ في جسده ووجهه، يمسكُ في يدهِ مطرقةً ضخمة، ولا يرتدي ملابساً على الإطلاق..

دقت طبلةٌ ضخمة ليقفَ الجميع متأهبين، تراجعوا للخلف، وسادَ الصمت لتظهرَ الأعين محدقةً ببعضها البعض، شهرَ الأربعة أسلحتهم للأمام في استعدادٍ لمعركة قد حُضِّرت من الجحيم..

وقفَ (غليوش) مكانه أثناء الصمتِ المهيب، ثم أشارَ بصولجانه نحوهم ليرمُق (بهطيش) (طارش) بطرفِ عينيه ففهمَ الأخير مغزاها، وفي ذات



اللحظة ركض الأربعةُ صوب بعضهم البعض لتصطدمَ أسلحتهم في معركةٍ انفجرت الحممُ لها هولًا.

* * * *

مشى (إبليس) بين المقابرِ بخطى ثابتة، لم يعد يمتلكُ قلبًا، ولكن ما الفارق؟! فالقلبُ ليس مقياسًا لقوته، فقوته تكمنُ في عدم خضوعه، ولكنه خضعَ غصبًا ولأول مرةٍ منذ أن خُلق، وحان الوقت ليستردّ حقه، أو ليعيشَ بعيدًا..

ولكنه غير مطمئنٍّ لما حدث، فظهور ذلك الكائن مرةً أخرى بعد كل تلكَ السنوات يُخيفه، والتقاطه لأقوى ثلاثةِ قلوبٍ على كوكب الأرض قبلَ رحيله يعدُّ فاجعةً لن تُغتفَر، ولذلك فكر مليّا قبل أن يتخذَ خطوته، ولم يحسبها، فمن يحاول معرفةَ النتائج يفقدُ كل شيء، ولذلك سيسيرُ في دربِ المجهول دون حسبان..

توقفَ أمام مقبرةٍ من المقابر، اشتمَّ بداخلها سحرًا ليس بطبيعي، بل يفوقُ سحرَ الدنيا جمعاء، حتى أنه كادَ أن يتراجع، لولا دفعُ عزيمته في إتمام ما بدأه، طالت الثواني أثناء وقوفه قبل أن يمُد يده لتخترقَ جدار المدفن وتمتدَّ حتى تدلفَ إلى غرفةٍ بالداخل، فأدركت قبضته قدمًا لجسدٍ يمكثُ في المنتصف،

سحبهُ بكل قوته، وتوقفَ به على باب المقبرة ثم تركهُ ليسحبَ يده، ثم وجهَ شعاعًا بتضييقِ عينيه نحو الباب الذي لا يمتلك قفلًا، لينفجرَ انفجارًا خافتًا، فيظهرَ أمامه الجسد الذي تلوَّن جلده باللون الأزرق إثرَ خروجِ روحه..

احتواهُ بين يديه وأوقفهُ أمامه ناظرًا في وجهه الفزِع، قبل أن يُحلق بجناحيه صوبَ مملكته ومعه جثةُ إنسانٍ قد تم نزعُ قلبها لفكِّ لعنةٍ تسمى (عين السولفا)، ويتحررَ على إثرها كائنٌ يدعى (بهطيش)، والذي إن لم يوقفهُ أحد فسينتهي العالم كلهُ جراءَ قوةٍ لم يشهدها من قبل.

* * * *

صيحاتٌ وصرخاتٌ وأسلحة تتفجر أثرَ الاصطدامات بين أربعةِ كائناتٍ تعد الأشرسَ والأكثر مهابةً على الإطلاق..

يتقابلُ (بهطيش) مع (طارش) فيُمثلون معركةً ضعيفةً حتى لا يتأذى فيها أحد، ثم يلتفان ويتكاتفان معًا لإفرازِ كل ما يملكان من جهدٍ في وجهِ الشيطان وحاكم المعارك..

تفاعلَ الجمهور مع المبارزة بعصبيةٍ وحماسٍ شديدين وكأن المعركةَ هم أطرافها، فتوقفوا



على مقاعدهم وعلَت صيحاتهم بالتحيةِ حتى تخطَّت المجرة مرددةً أسماء المتبارزين.

****

انتفضَ الأربعةُ ليسقطوا سويًا بعد أن اصطدمت الأسلحةُ ببعضها البعض، فيُلملم (بهطيش) شتات نفسه ويُحلق بكل قوته مندفعًا صوبَ الشيطان الذي قامَ بفرد سلسلته الحديدية منبسطةً للأمام في اشتعالٍ مهيب، ليتفاداها مهاجمًا له بسيفَيه متسببًا له بجراحٍ فتاكةٍ في جسده، فيتراجعَ الشيطان وبهجمةٍ من سلسلته في وجهِ (بهطيش) سقطَ هائمًا..

وعلى حين غرة ينتفضُ جسد (بهطيش) صوبَ عيني الشيطان ليغرزَ بهما سيفًا من سيفيه، فيصرخ الشيطانُ قبل أن يخلعَ السيف ويُلقيه أرضًا، ثم التفتَ خلفه ليجد سيفًا آخر قد رُشق في يده اليمنى حتى كادت أن تسقطَ مبتورة، ويصرخُ ثانيةً مخرجًا السيف ليُنحِّيه جانبًا، فيضحى (بهطيش) دون سلاح ليُلقي الشيطان سلسلته فتلتفَّ على عنقِ (بهطيش) ويقومَ بجرِّه بها، ثم غرز أظافرَ يده اليمنى في رقبته وشدَّ السلسلة باليسرى ليختنقَ (بهطيش) بين يديه فيُهلل الجمهور فرحًا ونشوة، وينتبهَ (غليوش) ومن معه لموتةٍ على وشكِ الحدوث.



* * * *

اصطدمَ (طارش) بـ(دنهش) حاكمِ المعارك، وكانت معركةً ضارية أُصيب بسببها (طارش) في عدةِ أماكن، وسقطَ أرضًا يصارعُ بما تبقى فيه من قوة، وما زال (دنهش) يتقاتل بشراسةٍ غير معهودة، فحلقَ في الهواء لينهمرَ فوقه بكلِ قوته، فيتأوّه (طارش) بعد اصطدامٍ مهول ينغرزٌ على إثره في الحممِ أسفله، ثبّته (دنهش) وبمطرقته هوى على رأسه بما يقارب خمسَ طرقاتٍ متتالية حتى كاد ينفجر، ولكن العجيبَ أن (طارش) لم يحدُث له شيئًا، بل دفعهُ بكلِ قوتهِ ليتوقف على قدميه ويُسلط سيفه قاذفًا إياه صوب ظهرِ (دنهش)، لينغرزَ به فيخرج من الجهةِ الأخرى، ثم أشارَ له ليعود بين يديه، وتصُمّ مسامعه صرخة (دنهش) متألمًا قبل أن يسقط أرضًا، ويلتفتُ ناظرًا لـ(طارش) الذي سارَ نحوه بخطى ثابتة وعيناه تطقان شررًا وابتسامته تُنذر بموتٍ قريب.

* * * *

ضغط الشيطانُ على عنق (بهطيش) حتى كادت أن تنخلعَ بين يديه، وتوقفا معًا بعصبٍ مشدود عن آخره، تضخمت العروق في وجه (بهطيش) وضحك الشيطان بكل قوته متفاخرًا، ثم نظر إلى الجمهور ليهللَ مرددًا اسمه فيزداد قوةً وتبرز عضلاته..



توقف (غليوش) واقتربَ من السور محدقًا لما يحدث، إنها أقوى المعاركِ على الإطلاق، فما يجري في الأسفل لم يرهُ من قبل..

تململَ (بهطيش) بعد أن أوشكت روحهُ على الخروج، واستجمعَ قوته ليصُدَّ الشيطان في صدره فيتراجعَ للخلف، ثم ركض بأقصى قوته ليُمسك بالسيفين والشيطانُ من خلفه، تدحرجَ في الهواء محلقًا، فلحقَ به الشيطان والتفَّ نحوه ليتواجها محلقينِ في الهواء، فدفعَ (بهطيش) سيفيه ممتلئًا غضبًا صوب رقبةِ الشيطان، لينغرزا فيها محدثين أقصى العذاب، ثم توقفَ المتبارزان في الهواء بعيونٍ جاحظة، ليشهقَ الجمهور، تلفتَ (بهطيش) حوله متفقداً الجميع، قبل أن يجُزَّ عنق الشيطان بكل ما أوتيَ من قوته ليسقط رأسه أرضًا ويتبعه جسده..

ثم ألقى بنظره سريعًا صوب (طارش) ليجده ساقطًا أرضًا و(دنهش) على وشكِ قتله، فانطلقَ نحوه ليلحقَ بالرمق الأخير منه.

****

مشى (طارش) بخطى وئيدةٍ صوب (دنهش) الذي يصارعُ آلامه أرضًا، وصل إليه ورفعَ سيفه لأعلى وهوى على يده اليسرى لتُبتر وتسقط، فضحكَ

(طارش) ونظرَ إلى جمهوره يُحييه، فصاحَ له الجمهور يشجعونه، ليزدادَ (طارش) عزيمةً وإصرارًا، حتى التهمهُ غروره أثناء التفافهِ كالنحلة لينظرَ إلى جميعِ الحضور، في حين سادَ الصمت بغتة..

ليُفاجأ من السكوت المباغت، حيَّاهم فلم يردوا التحية، حتى سمعَ صوت (دنهش) مزمجرًا من خلفه، فاستدارَ للوراء ليقابله بمطرقتهِ في وجهه، فطارَ مندفعًا للخلف من قوة الضربة ليتبعهُ الشيطان كالصاروخ مهاجمًا له مصدرًا ضربةً أخرى، فسقط أرضًا مخترقًا الحمم، لم يلتقط أنفاسه، نحى (دنهش) المطرقة جانبًا ثم احتوى سيفَ (طارش) بيدهِ المتبقية ورفعه لفوق وهوى بكل قوتهِ على رقبته.

* * * *

كادَ أن يموت (طارش) لولا أن (بهطيش) قد صدمَ سيف (دنهش) بسيفٍ من سيفيه ليتراجعَ إلى الخلف، وما لبثَ أن التف حتى غرزَ (بهطيش) سيفه في قدمه اليسرى ليسقطَ أرضًا، ثم أتبعَ (بهطيش) هجمته بأخرى صوبَ القدم اليمنى فتُبتر، ليرتميَ (دنهش) أرضًا فقابله بهجمتينِ متتاليتين صوبَ رأسه حتى انشطر إلى شطرين فيرحلَ دون رجعة.

* * * *

تعجبَ (غليوش) مما حدث! كيف يساندون بعضهما البعض وهما في معركةٍ البقاءُ فيها للأقوى، استوعبَ (طارش) الأمر سريعًا عندما رمقهُ بطرفِ عينيه، فأمسك بسيفهِ وهجم على (بهطيش) بكل قوته ليصده الأخيرُ بسيفيه، ويقفا أمامَ بعضهما البعض لأول مرة في معركةٍ تجمعُ بين شرورِ الدنيا جمعاء، متمثلةً في هيئةِ صداقة، ولكن ما باليدِ حيلة، قانونٌ قد سُن ووجبَ عليهما التنفيذ.

****

ثبتَ (إبليس) أمام بئرٍ استوطنَت في مدينة بابل بالعراق، لم يشتمّ سوى رائحة الموت، كانت البئرُ فيما مضى مملكةً ضخمةً من الجان، ويسكنها ملكُ ملوك الجان، أقوى جني قد خُلق على الإطلاق، ثم حلقَ بجناحيه وتوجه إلى منتصفِ البئر ليهبطَ إلى عمقها ببطء..

لم يسمع صوتًا واحدًا، وكأن الحياةَ قد انتهت بالداخل، وبرغم أنه لم يكن هُناك تفاهمٌ في يومٍ من الأيام بينه وبين (أبانوخ) إلا أنه حزنَ على ما جرى له..

أنهى البئرَ ليتوسط مفترقَ طرقاتٍ تفرعت منه سبعةُ ممرات، لم يمكث كثيرًا حيث أنه دلفَ إلى

ممرٍ منهم، وتوغلت إليه رائحته، رائحةُ الملك الأعظم، حتى صُدم برماده، توقف لحظةً أمام ما تبقى منه، أخرج صندوقًا أحمرًا صغيرًا، قبل أن يُشير بسبابته إلى رمادِ (أبانوخ) فحلق ليلتفَّ حول يديه، ثم وجههُ صوب الصندوقِ ليسكن بداخله، وبعدها عادَ أدراجه متوجهًا صوب مملكته.

* * * *

تصادما في معركةٍ ضارية، (بهطيش) والخادمُ المطيع والصديقُ المخلص (طارش)، يتلهفُ الجمهور للنهاية، وأعين (غليوش) وزوجته وابنته قد جحظت عن آخرها منتظرين نهايةً تشفي صدورهم، إلا أن المعركةَ قد طالت، حتى ارتفعا سويًا في السماء يتقاتلانِ بكل قوتيهما، لم يستطيعا التمثيل فاستخدما كل ما يملُكان من قوة، لتزداد الإصاباتُ في أجسادهم، هاجت السماء وحدثَ إعصارٌ أعمى الأعين، تسابقت الكائناتُ في اندفاعٍ خلف بعضهم البعض يسترقون النظراتَ لغضبٍ لم يروه في حياتهم، فقد اخترقا السحابَ وعلا الإعصار..

(بهطيش) كاد أن يقتلَ (طارش) بضع مرات، غير أن (طارش) تصدى له، وبعد أن انقلب كل شيءٍ رأسًا على عقب، قد أدركا ما عليهما فعله..



اندفعا بغتةً بكل قوتهما ساقطين من السماءِ خلف بعضهما البعض، وقبل أن يصطدمَ (بهطيش) بحممِ الأرض، بدّل وجهته في غمضةِ عين لينطلقَ بغضبه كله صوبَ (غليوش)، اصطدمَ به وأسقطهُ أرضًا ليحلقَ الصولجانُ من بين يديه مستقرًا في يد (طارش)..

جحظت أعينُ الجميع ومن بينهم (بهطيش) و(غليوش)، وقد شهقت قلوبُ الجماهير ومعهم زوجةُ الحاكم وابنتها..

ليحدقَ (طارش) بالصولجان في يده بتعجب، ثم يبتسمُ بخبث.

* * * *

وقفَ إبليس أمام بحرٍ مالح، بجانبه على الأرض من الناحية اليسرى جثة (إبراهيم) ومن الناحية اليمنى الصندوق الذي يحملُ رماد (أبانوخ)، أشار للصندوق فانفتحَ ليخرج الرماد متجسدًا على هيئة (أبانوخ) واقفًا على قدميه وناظرًا للأمامِ صوب البحر، ثم أشارَ بيديه لجثةِ (إبراهيم) فتوقفت هي الأخرى ناظرةً أمامها..

همسَ ببعض الكلماتِ قبل أن يرتفعَ في الهواء بضعة أمتارٍ لتحلقَ الأجساد خلفه، توقفا في الهواء



و(إبليس) يرددُ بضع كلمات، وعلى إثرها ضربت السماءُ عدة صواعقَ صوبهم ليُصابوا بها فينتشي (إبليس) أكثر..

بضع لحظاتٍ وارتفعت المياه كالإعصار، حلقَ للأمام ومعه الجثتين ليغرقَ بداخل إعصارِ المياه، ثم التفَّ الثلاثة حول بعضهم البعض ممتزجين بالمياه، فهاج البحرُ ثم صرخ بصوتٍ غليظ، وامتزجَ البرق معهم..

تقلبَ (إبليس) داخل المياه، وانشقَّ جسده من اليمين واليسار لتمتزجَ مياه الإعصار معه، غُرزت جثة (إبراهيم) بداخل يساره، ثم عادت جثةُ (أبانوخ) كما كانت قبلَ أن يحترق، لتخترقَ يمينه، وبعدها التفَّ الإعصار مشكلًا دائرةً حول جسده..

لحظاتٍ وقذفه البحرُ خارجه، ليسقطَ على الرمال، تألمَ وتلوى حول نفسه، دقائقٌ مرت كادت أن تقطعهُ ألمًا، وبعد أن انتهى كل شيء، توقفَ على قدميه، والتفَّ ليظهر جسدُ إبليس في المنتصف يخرجُ من يساره نصفُ جسد (إبراهيم) برأسه كاملًا، ومن يمينه نصفُ جسد (أبانوخ) برأسه كاملًا، وحوله تلتفُّ دوامةٌ من المياه المالحة، اشتعلت عيناهُ أثناء وقوفه وتحرك للأمام، لتنفتح عينا (إبراهيم) سوداء قاتمةً برعبٍ مهيب ومعها اشتعلت عينا (أبانوخ) باللونِ الأخضر..





ثم حلقَ في السماء لتترددَ ضحكاته مع ضحكاتِ (إبراهيم) و(أبانوخ) فيشهقَ العالم أجمع خوفًا من كائنٍ قد خرجَ ولن يهَب شيئًا، ولن يستطِع ردعه أعتى الكائناتِ قوة، فقد خرج فقط ليدمرَ كل من يُلاقيه.

* * * *



(٩)

دُقُّوا الطبولَ وانتَظِروا قدومَ الملِك

ستَحكمُ الراياتُ بالنصرِ أن تبقَى

وأشعِلُوا الحربَ في الليلِ الحَلِك

إما بنصرِكَ تَنتَشي أو بلعنةٍ تشقى

توقفَ كل شيءٍ في غمضة عين أثناءَ تحديق (طارش) للصولجانِ بين يديه، وكأنه امتلكَ الدنيا في لمحِ البصر، فجالتِ الأفكارُ داخل عقله تتبارزُ من أجلِ البقاء، فكرةُ السلطة، فكرةُ القسَم، وفكرةُ الخيانة..

وأثناءَ تحليقه انحنى الجمهورُ أجمع، ووقف (غليوش) بجانبِ (بهطيش) ناظرَين لـ(طارش) ببلاهة، ومعهما زوجة (غليوش) وابنته..

في بادئ الأمر، صُعق (غليوش) عندما نظرَ في عين (بهطيش) ليكتشفَ بأنه قد خرجَ من (عين السولفا)، لم يتساءل كيفَ فعلها، فكل ما شغلَ عقله هو صولجانه الذي أضحى في يدِ غيره، ولا يعلمُ إن كانت يداً أمينةً أم خائنة..



لحظاتٌ سُرقت أمام أعينهم، أيقنَ فيها (غليوش) ما يحملُه (طارش) من ضغينة، فدفعَ (بهطيش) في صدره قائلًا:

– انظُر إلى ما فعلته بنا أيها العاق!

ردَّ (بهطيش) الدفعة بمثلها وسارَ للأمام بضع خطواتٍ محدِّثًا (طارش):

– أعطني الصولجانَ يا طارش.

أفاقَ (طارش) من شروده، تلفتَ حوله بنشوة، ثم نظرَ إليه ضاحكًا قبل أن يقول:

– وما المقابل؟

فكر (بهطيش) للحظةٍ كادت أن تُعيي دماغه، ثم حدق به قائلًا:

– السلطةُ بجانبي.

علت ضحكاتُ (طارش) قبل أن يُشير إلى الصولجان قائلًا:

– أمسكها بيدي!

ثم سلطهُ عليهم واستأنفَ مكملًا:



– اركعوا أمام ملِككُم الجديد أيها العبيد.

لتنحني الزوجة والابنة خوفًا، ولكن أبى (غليوش) و(بهطيش) واستكبرا، ليُهددهم قائلًا:

– الموت، أم الركوع؟!

فصرخَ (بهطيش) متعجبًا مصدومًا:

– فعلتُ لأجلكَ الكثير!

فحركهُ (طارش) بصولجانه، ليرتفعَ عاليًا في الهواء وترتسم تلك البوابةُ على هيئة عين، إنها (عين السولفا)، لتجحظَ عين (بهطيش) فيبتسم (طارش) قائلًا:

– رددتُ لك الجميل.

ثم ألقاهُ بجانب (غليوش) ليسقطَ متألمًا ثم توقفَ مرةً أخرى:

– وماذا عن صداقتنا؟!

صنعَ (طارش) هالةً صلبةً حوله، ثم حلقَ في الهواء وهبطَ ليقف بجانبهم قائلًا:

– ستظلُّ قائمة، وستحكُم بجانبي.

لينفجرَ (بهطيش) غضبًا:

- لقد أقسمتَ بأن تظل خادمي!

تحركَ (طارش) باستعراضٍ قائلًا:

- ووفيتُ بالوعد.

ثم وقفَ على الشرفة موجهًا حديثه لبني جنسه:

- شعب سفريوس، منذ آلاف السنين وغليوش هوَ من يحكُمكم، وقد حان الوقتُ لانتزاعِ الحكم منه واستقراره تحت حكم عقلٍ راجح يقودهُ بالطريقة الصحيحة، أُدعى طارش، وقد وليتُ نفسي حاكمًا عليكم وعلى مخلوقاتِ سفريوس جميعًا.

ليُهلل الجمهور فرحًا، أو خوفًا، أو انحناءً للصولجان، فهم بذاتهم لم يعرفوا سببًا لتهليلهم وتحيتهم له، وأثناءَ وقوف (طارش) دون تركيز، ركضَ صوبه (غليوش) بكل ما أوتي من غضب ليدفعهُ فيسقطَ على الحممِ في الأسفل من أعلى الشرفة، ولكن الهالةَ ظلت حولهُ لتحمي صولجانه من عدمِ الفرار بعيدًا، فسقطَ بداخلها وارتكنَ الصولجان بجانبه، أمسكَ به وعيناه تنفثانِ شررًا وحلق فوق الحلبة، لتصرخ السماء من قوته المهولة، تساقطَ الرعدُ منها مصيبًا لهم، ولكنهم لم يتأثروا به، جمعَ



شتات قوته كلها، ليشتعلَ الصولجان في يده، ثم صوبه ناحية (غليوش) قائلًا بابتسامةٍ غير مريحة:

– لن تموتَ الآن، ولكنك ستموتُ صراخًا لأجلهم.

ليحرك صولجانه فيبرزَ منه شعاعٌ أزرق وبطاقةٍ مرعبة يُصيب الفتاة والزوجة ليُحرقا ويستحيلا رماداً في غمضة عين، ليصرخَ (غليوش) دون أن يحرك (بـهطيش) ساكنًا، وقبل أن يتفوهَ بكلمة، سددَ (طارش) الصولجانَ بتمكنٍ صوب (بـهطيش) ليلتقطَه، وإذا به مسرعًا يرسمُ في السماء عينًا، ثم يرفع (غليوش) ويلقيهِ بداخلها قائلًا:

– عين السولفا خُلقت لمن هُم مثلك.

ليصرخَ (غليوش) أثناء ابتلاعِ العين له، فتنفجرَ خلفه، ويتحرك (طارش) ليقفَ بجانب (بـهطيش) مبتسمًا قائلًا بصدق:

– أفكرتَ لوهلةٍ بأنني من الممكن أن أخون أعز أصدقائي؟!

علقَ نظر (بـهطيش) في الفراغ قبل أن يتفوه قائلًا:

– بـهطيش لا يمتلكُ أصدقاء..



صُعق (طارش) من ردة فعل (بهطيش) بعد أن عمِل لأجله المحال، ليلتفتَ الأخير محدقًا في عينه قائلًا:

– اجمع جيشنا، فهناك معركةٌ يجبُ أن تنتهي الآن!

****

مئاتُ الآلاف من مخلوقات (سفريوس) جُمعت لليوم العالمي، توقفَ (بهطيش) في وسطِ المملكة، وبكل قوته متحدةً مع الصولجان خلقَ فجوةً في منتصفِ السماء لتعبُر منها المخلوقات فتهبطَ على كوكبِ الأرض، وبالتحديد في صحراءِ بابل بالعراق، وحين استقرت بأرضها، شكّلت رسمةً ضخمة بوقوفهم جانبَ بعضهم البعض لتشبه تكوين مخلوق (سفريوس)، وبعد أن انتهى الجيش، قفزَ (طارش) و(بهطيش) ليعبرا من خلال الفجوةِ وتنغلقَ خلفهم، ثم وقف أمامَ شعبه في الصحراء وبثّ فيهم الحماس قائلًا:

– اليوم، هو يومُ إثبات أنفسنا أمامَ العالم، يوم يتمُّ الكشف عن شعبِ (سفريوس)، وأن نظهرَ في العلن بعد كل تلكَ السنين، لقد توارينا من المخلوقات جميعًا خوفًا من هدم العالم، ولكننا خُلقنا لنحكم، ليس أنفسَنا، بل لنحكم الجميع، قد حان وقتنا، حان الوقت كي نبيدَ البشر والجان



والشياطين، كي نمتلكَ عالمًا خاليًا من كل شيء، إلا نحن.. لا تخافوا شيئًا، ولا تهابوا شيئًا، هم ضعفاءُ لا يقدرون على التصدي لربع حجمكم وإن اتحدوا معًا جميعًا.. فقط قفوا وكأنكُم في سفريوس، ارفعوا من شأنِ عالمكم، لتثبتوا لهم بأنهم لا شيء، وأنتُم كل شيء.

وصاحَ قبل أن يحلقَ للأمام، فصاحوا خلفه وتبعوه محلقين، لتتزلزلَ من حولهم الموجودات ويجتاحوا مدينة العراق فيُبيدوها دون رحمة.

****

شعرَ (إبليس) بوجود عددٍ مهول من كائنات (سفريوس) قد حطَّ على كوكب الأرض، فبعد أن كدَّ في البحثِ عنهم كاد اليأسُ أن يتمكن منه، ولكنه لم يتوقع مجيئهم بذلكَ العدد الضخم، كان قد علمَ بأن هُناك سرًا غامضًا وراء جمع القلوب، ولكنه لم يتوقع بأن يكون ذلكَ الشيء هو إبادةُ الكون..

تحلى بالشجاعةِ وقرر بأن يتصدى لهم، وحده دونَ معين..

جمعَ شتات نفسه وعزمَ على عدم العودة إلا وجميعُ مخلوقات (سفريوس) إما موتى أو له راكعين.



* * * *

في أقل من دقيقةٍ كانت العراقُ قد تحولت إلى رماد، حطوا على شعبها كالجرادِ يحصدون الأرواح، وقد شمَّر ملَكُ الموت عن ساعديه وشرعَ في التقاط الأرواح من خلفهم..

وبعد أن انتهوا من العراق تحركوا صوبَ الأردن، وكأنهم أقسموا على إبادة الكونِ أجمع وقد بدأوا ببني آدم..

دقوا الطبولَ قبل اقتحامهم أرضَ الأردن، و(بهطيش) يسيرُ في وسطهم مستمتعًا بصرخات الضحايا من حوله، ركضوا مقتحمينَ إياها فتساقطت الجثثُ رمادًا أسفل أقدامهم، وفي الوسطِ اصطدموا بشيءٍ حوَّل صفوفهم الأمامية إلى جثثٍ زرقاء اللون هالكةً في لمح البصر.

* * * *

توقفَ (إبليس) في وسطِ الأردن بإعصار المياهِ الملتف حوله منتظرًا لهم، وقد توقعَ هجومهم التالي، وما إن وصلوا إليه حتى تحوَّل لموجةٍ من المياهِ المالحة ليُنهي على صفوفهم الأمامية في غمضةِ عين، فتراجعَ الباقون فزعين للخلف، ليصنع سيفين من الماءِ الملتف حوله وتموَّج كالنحلة



البلاستيكية في منتصفهم لحصدِ أرواحهم، فتساقطوا كالبعوض، حتى أنه قضى على نصفِ الجيش دون جهد.

* * * *

وقفَ (بهطيش) عاجزًا عن مساعدةِ بني جنسه، كادوا أن يبادوا، وفلتت زمامُ الأمور من بين يديه، فأخرجَ صولجانه ورسم دوامةً في السماء متجهةً صوب (سفريوس) ثم صرخ فيهم قائلًا:

– انسحبوا، عودوا إلى بلادكم، الآن!

ليحلقَ الجيش مندفعًا صوب الدوامةِ بأقصى ما فيه من قوة، متسابقين للخروج من كوكبِ الأرض، و(إبليس) ما زالَ يحصد أرواحهم حتى تبقى القليلُ منهم للهرب، وما إن نفذوا من الدوامةِ حتى تبعهُم (طارش) ومن ثم (بهطيش)، وأثناء خروجه من الكوكب وفي لمح البصر، كادت أن تنفجرَ الدوامة فقذفَ (إبليس) بنفسه ليخرج من ثغرةٍ صغيرة قبل أن تُعلن الدوامة انغلاقها، ويسقطَ في وسط ميدانٍ بـ(سفريوس) لينظروا له جميعًا فزعين، وتكاد عينُ (بهطيش) أن تنبثقَ ذعرًا من جمجمته.

* * * *



توقفَ (إبليس) ببلاهةٍ وسط الميدان وأخرجَ سيفيه، ليلمحَ (إبراهيم) و(أبانوخ) (طارش) واقفًا يلهث، فابتسما وخرجا من جسدِ (إبليس) ليتألمَ الأخير، ثم اجتمعا معًا مشكلين جسدًا من نصفين، إنسٌ وجان، ثم سحبا بأيديهما نصفَ الماء المالح ليلتفَّ حولهم كإعصارٍ خافت، وشكَّلا به سيفين وركضا بكل قوتهما نحو (طارش) ليبصرهم الأخير بفزع ويفرَّ هاربًا بعد أن استوعب أنه في عداد الموتى..

وفي نفس اللحظة تحرك (إبليس) من مكانه، لتركض الكائنات رعبًا فضحكَ بصوتٍ عالٍ، ليُبصر (بهطيش) واقفًا وسط الميدان وحيدًا ثابتًا ممسكًا بصولجانه، فعلَت ضحكات (إبليس) أكثر قبل أن يركض صوب (بهطيش) بأقصى سرعته.

* * * *

لحقَ (إبراهيم) و(أبانوخ) بـ(طارش) بعد مطاردةٍ استمرت لبضع دقائق داخلَ المملكة، فاستسلم (طارش) متوقفًا أمامهما متوسلًا قائلًا:

– أردتُ لكما السلام.

فتكلما بصوتٍ واحد وكأنهما منومَين مغناطيسيًا:



– انتزَعت منا الحياة!

فهرعَ للخلف مرتاعًا ليقولَ والحسرة تغزو وجهه:

– كُنت أنفذ أوامر سيدي!

فتحركا للأمام بابتسامةٍ مرعبة وتردد صوتهما في نفَسٍ واحد:

– دعنا إذن ننفذُ أوامر أنفسنا.

لترتعشَ أوصال (طارش) أثناء قوله:

– أعِدّاني خادمًا لكما، صدِّقاني فسأكونُ مخلصًا معكما.

يسيران ببطءٍ مذبذبي الحركات أثناءَ تقاذف الكلمات من أفواههما:

– اترُكنا نحرر قيودك.

تعثرت قدماهُ فسقط أرضًا قائلًا:

– ليست لديَّ قيود.

اقتربا حتى توقفا أمامه، تحولت سيوفهما إلى مخالب، ثم دنواَ منه قائلين:



– قلبٌك يٌقيدك.

وكادا أن ينتزِعا قلبه لولا أنه زحفَ للخلف فازعًا وهو يقول:

– سأحضر لكما قلبين غير اللذَين سرقتهما..

فأكملا سيرهما مصدرين مخالبهما للأمام قائلين:

– نريدُ قلبك، وها قد أصبحَ ملكًا لنا.

تعثرَ فسقط أرضًا..

– سأحضرُ لكما قلب سيدي..

فتوقفا لحظةً يفكران، ودنوَا منه أكثر حتى أصبحا أمامه، ثم خرجت كلماتهما من أفواههما كالإنسان الآلي:

– قلب سيدكَ على وشك الانتزاع، كما حالُ قلبك الآن!

وغرزا مخالبهما معًا داخلَ صدره بكامل قوتهما، ليصرخ صرخةً قضت على آذان (سفريوس) جميعًا، ضغطا معًا على قلبه وسحباه لينقسمَ إلى نصفين بين أيديهما، حدّقا به للحظةٍ قبل أن



يدُسّاه سويًا داخلَ صدورهما، ثم تبخرا في الريحِ عائدين للخلف.

****

هجمَ (إبليس) على (بهطيش) ليتلوى الأخيرُ في الهواء أثناء استخدامه صولجانه، فأخرج صاعقةً ترابية لتصيبه فسقطَ أرضًا، ليقل الماءُ من حوله وتتحول إلى وحلٍ يتساقطُ أرضًا، مما أقلقَ (إبليس) ولكنه تحامل وهجم مرةً أخرى..

لاحظَ (بهطيش) بأن الماء يتناقصُ بازدياد التراب، فابتسمَ بمكرٍ قبل أن يزخَّ عليه ضرباتٍ متتاليةٍ من الرمال لتغطي جسده الذي عجزَ عن الحركة، سقط أرضًا، في حين أن سقط الماء من حوله حتى انتهى، فعادَ (إبليس) دون (إبراهيم) و(أبانوخ) ودون ماء، توقفَ على قدميه سريعًا ليهبط (بهطيش) واقفًا أمامه قائلًا:

– أنتَ ضعيف يا لوسيفر، ولكنني أُحيي ذكاءكَ العبقري.. إن النهايةَ محسومة، دائمًا ما تكون محسومة، فالصولجانُ لا يهزمه أي قوةٍ قد خُلقت، الصولجان هو القوةُ الكونية كلها متجمعةً في قطعةٍ واحدة.



أنهى كلامه أثناءَ وقوف (إبليس) مصدومًا دون أن ينبسَ حرفًا، حركَ الصولجان ليرسمَ دوامةَ عينٍ في السماء، ثم حركه مجدداً صوب (إبليس) ليسقطَ (بهطيش) أرضًا من هجمةٍ خلفية، تأوهَ قبل أن يُحرك عينه سريعًا فيبصرَ نصف جسدِ (إبراهيم) متحداً مع نصفِ جسد (أبانوخ) وقد هاجماهُ للتو..

وقفا أمام (إبليس)، وانقسما قبل أن يتحدَ الثلاثة معًا، ليشعرَ (إبليس) بقوةٍ مضاعفة سببها قلبُ (طارش) الذي استكانَ بداخله، ابتسم بشرٍ مهيب ممسكًا سيفًا من الماءِ المالح في يده، ثم هجم على (بهطيش) ليحرقَ يديه الاثنتين، وفي حين أنه كان يصرخُ متألمًا لم يتوقف (إبليس) عن فعلته، بل ظل يعذبُ فيه ليحرقَ قدميه الاثنتين أيضًا، ثم توقفَ أمام رأسه، رفع سيفه لفوق قائلًا:

- النهايةُ دائمًا محسومة، والنهاية معناها أن إبليسَ خالدٌ لا يموت.

وهوى على رأسِ (بهطيش) ليحترقَ ممتزجًا مع صرخاته، ثم تراجع (إبليس) للخلف ورفعَ يديه إلى الأعلى، ليخرجَ الإعصار المائي من جسده مفعمًا بقوة الإبادة ويتشكل على هيئة موجةٍ عالية، وقبل أن يهوي بها على (بهطيش) قال الأخير سريعًا بصوتٍ ضعيف:



– الموتُ بداية لعنة جديدة، وفك سحرها حتمًا هُناك من سيسعى لأجله.

رفعَ (إبليس) (بهطيش) بالموجة ليصلَ إلى أعلى أفق (سفريوس)، ثم تحولت لإعصارٍ جَلَل وغرق بداخلها وصراخه يدوي في السماء، قبل أن يحترق كاملًا وينزف دماءً زرقاء، وبعدها خمدَ الإعصار وسقط أرضًا جثةً هامدة..

ضحكَ (إبليس) بشرٍّ لم يختلجه من قبل في حياته كلها، ثم حلقَ في سماء (سفريوس) فرحًا مهللًا بعد أن انتهت الملحمة، ليلمحَ الصولجان على الأرضِ أثناء تحليقه..

فهبطَ واقترب منه، لفَّ قبضته عليه ليشعرَ بقوةٍ مهولة لم يشعُر بها من قبل، قلبه بين يديه يتفقدهُ بحذر، ليلمح بطرف عينيه شعب (سفريوس) أثناء تدافعهِ نحو (إبليس) ليقفوا أمامه ويركعوا تبجيلًا وتعظيمًا له..

ازدادت ابتسامته توسعًا، وفكر للحظةٍ في غزو العالم، رفع الصولجان للأعلى فخرجَ منه شعاعٌ غصبًا، مشكلًا عينًا في السماء لتسحبه بداخلها، ويسقط الصولجان منه أرضًا..

حاول التملصَ حتى لا تبتلعهُ العين، فتشبثَ بيد نصفِ جسد (إبراهيم) في طرف الفجوة، وسحب جسده للخارج بأقصى ما يملكُ من قوة، لتنغلقَ الفجوة بغتةً فتبتلع (إبليس) و(أبانوخ) وتنفجر خلفهم ليسقطَ نصف جسد (إبراهيم) أرضًا متأوهًا بصوتٍ مكتوم.

****

أفاقَ (إبليس) من غيبوبته التي سُحب بها، ليجد نفسه جالسًا على صخرة وهناك سلسلةٌ حديدية تنتهي بإسورةٍ تحتوي قدمه اليسرى بقوةٍ مهولة، توقفَ على أقدامه ونصفُ جسد (أبانوخ) ملتصقٌ به، أمسكَ بالسلسلةِ وسحبها بكل قوته دون فائدة، حاول تحريرَ نفسه بسحره ليكتشفَ بأنه عاجزٌ عن استخدامه فصرخَ تحسّرًا..

انشقَ نصف جسد (أبانوخ) مبتعداً عنه، وحلق أمامهُ في حرية، ليسمعَ صوتَ شخصٍ آخر يقول:

– أهلًا بك في عين السولفا!

خرجَ الصوت من الناحية الثانية من الصخرة التي يجلسُ عليها (إبليس)، فحلقَ (أبانوخ) ليكشف عن المتكلم، فوجده (غليوش) العجوز جالسًا على

الصخرةِ من الجهة الأخرى مربوطًا بسلسلةٍ أخرى، أثناء دورانِ الصخرة باستمرار دون توقف..

صرخ (أبانوخ) بحزنٍ داخل الفراغِ وحلق كالمجنونِ بحثًا عن مخرجٍ فلم يجد، لتترددَ صيحاتُ (إبليس) ممتزجةً معه فيضع (غليوش) يديه على آذانه حمايةً لهما من صوتٍ لا يتحمله أي كائنٍ حي.

* * * *



(١٠)

فيحدُث أن تجد نفسك صدفةً قد ملكتَ كل شيء

سقطَ نصف جسدِ (إبراهيم) قبل أن تبتلعهُ الدوامة مع (إبليس)، ووقف على قدمٍ واحدةٍ مذبذبًا غير متماسك، نصف جسد إنسان يقفُ في مشهدٍ يقتل القلب خوفًا، حاول التماسك فكاد يسقط، ولكنه تحركَ بقدمه اليمنى غير الموجودة، فخرجَ له نصفُ جسدٍ آخر من الماءِ المالح مكملًا إياه، توقف ببلاهةٍ أمام شعب (سفريوس) الذي بدأ في استيعابِ الأمر، تردد في التزحزحِ من مكانه، فلم يعد يعلمُ ما الذي عليه فعله..

أيتراجعُ الآن أم يكملُ هجومه عليهم؟!

لم يتسنَّ له الوقت الكافي كي يستوعب ما يحدث حوله حتى عجلَ شعب (سفريوس) في الهجومِ وانقضُّوا نحوه في محاولةٍ لنهشِ لحمه..

فتراجع للخلفِ في قلق، وبحثَ عن سلاحٍ كي يُدافع به عن نفسه، ليُفاجأ بسيفٍ ينسلُّ من جانبه المائي، هندمَ من وضع جسده ووقفَ مستعدًا في مواجهة شعبٍ كامل من مخلوقات تمتلك قوة ينحني لها العالم أجمع تعظيمًا ورهبة..



ولكنه في ذات اللحظة شعر بشيءٍ ما يجذبه، فألقى بنظره على الأرض التي تهتز إثرَ خبطات الأقدام التي تركضُ نحوه، ليبصرَ الصولجان يلمعُ لمعان كتابِ استدعاء (طارش) الذي كان سببًا لوجوده هنا منذ البداية، فانحنى بحذرٍ أثناء تسليط عينيه على الجيشِ القادم، ليحتوي الصولجانَ بين قبضتهِ الهشة، شعر بقوةٍ مهيبةٍ تسكنُ دواخله، قلّبه بين يديه ببلاهةٍ في محاولة لفهم سر تلك القوةِ الجبارة التي احتلت كيانه، حتى أنه نسي تدافعَ الكائنات القادمة نحوه وهي على وشكِ الفتك بأوصاله..

لحظاتٌ التقطها وأفاقَ فجأةً بعدها، ليلقي ببصره أمامه فيفاجأ بشعبِ (سفريوس) أجمع راكعًا إجلالًا وتعظيمًا له، نظرَ إلى الصولجان بتعجب، استنفدَ بضع دقائق ليستوعبَ الأمر، ثم ضحك بنشوةٍ قبل أن ينظرَ لشعبٍ كامل محنيًا مطأطأ الرأس خشوعًا ومهابة..

أدركَ أمرًا لم يستطِع تصديقه، وتذكرَ وعد (طارش) له منذ البداية بسلطةٍ أبدية بلا زوال، فازداد تعجبًا، وفي لحظةٍ تحول من ذلكَ الضعيف العائدِ من موته، إلى حاكمِ مملكة (سفريوس)، وملكِ أقوى المخلوقاتِ في العالم، فكاد أن يهوي من دهشةِ ما استحال إليه..



صمتَ كل شيء في لحظة، هدوء صارخ باغتَ المكان، جحظت عيناه وعلا صدره وهبط ملتقطًا أنفاسه، ثم مشى وسطَ الراكعين أمامه متوجهًا صوب القصر، ليصنعوا بأجسادهم جسرًا يسير عليه تعظيمًا منه ورهبة، وبعد أن أوشك على الوصول، التفتَ للخلف كي يبصرهم وما زالوا راكعين، لتحمل قسماتُ وجهه ابتسامةً خبيثة لا يعلم كنهها أحدٌ سواه.



تمّت

للتواصل مع الكاتب عبر الفيس بوك، برجاء البحث باستخدام:

sawymohamed١٦@gmail.com

شكر خاص جداً لوالدي العزيز، سكَنت روحكَ الجنة يا حبيبي، فلتعلم بأنّ فراقكَ يكويني، أريدُ إخبارك بأن الاشتياق يحرقُ قلبي، وأعيشُ على أمل لقياك في يومٍ ما..

شكر خاص جداً لوالدتي العزيزة على إفنائِها عُمرها مقابلَ تربيتنا، وما زالت صامدةً لا تئن ولا تشكو، فقط تحاول مساعدتنا على البقاءِ آمنين.. اللهم بارك لنا في عمرها..

شكر خاص جداً لأخواتي (دينا، ريهام، حبيبة، ياسمين)، بدونكم أنا لا شيء، أنتم تُكملونني، فلا تبتعدوا عني مهما حدث، وإن فرقتنا الحياة، فأرجو أن نعودَ لكنفِ بعضنا البعض، فلا يوجد ما هو أعظمُ من الأخوة يا بناتي..

شكر خاص جداً لصديقي وأخي العزيز (شريف عيسى) «أوشي» على وجودكَ بجانبي دائماً، أنت نعمُ الأخ والصديق..



شكر خاص جداً للأستاذة والمصححة اللغوية الآتية بقوة (هند محمود) على تحملها لي ووقوفها بجانبي خطوةً بخطوة حتى انتهيتُ من هذه الرواية المرهقة ذهنيًا وجسديًا..

شكر خاص جداً لأصدقائي (محمد رمضان «عسلية ابن عمي»، هاني مرسي «زوج أختي»، محمد عامر «صديق العُمر»، سيد الحسيني «صديق الطفولة»، إسلام ميلانو «الطيب جداً»).. أنتُم من تساعدوني على تكملةِ حياتي دون خوف، ودونكم أتخبطُ بين الطرقات عاجزًا لا أملكُ أي حيلة، أحبكُم، لا تتركوني في يومٍ من الأيام..



noon_publishing@yahoo.com

٠١١٢٧٧٧٢٠٠٧ – ٠٢٣٥٨٦٠٣٧٢